المملكة العربية السعودية
وزارة التربية والتعليم
التطوير التربوي

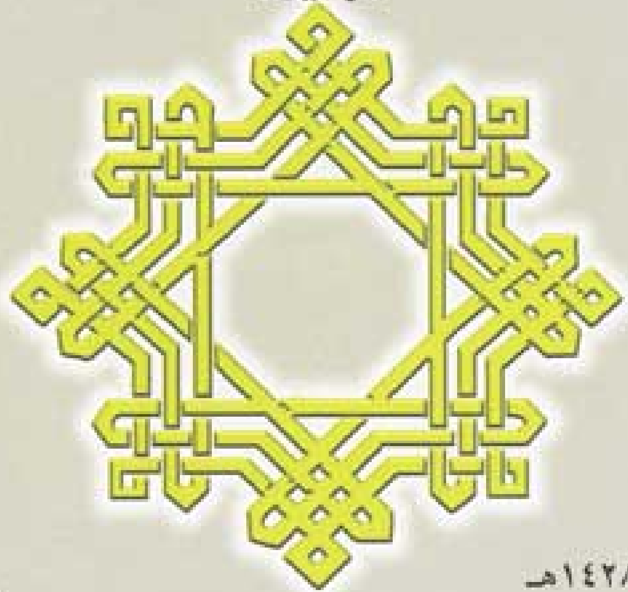


التوحيد

للصف الثالث الثانوي

أقسام العلوم الإدارية والاجتماعية
والطبيعية والتقنية

(بنين)



طبعة ١٤٢٧هـ - ١٤٢٨هـ
٢٠٠٦م - ٢٠٠٧م

يوزع مجاناً ولا يباع

المملكة العربية السعودية
وزارة التربية والتعليم
التطوير التربوي



قررت وزارة التربية والتعليم تدريس
هذا الكتاب وطبعه على نفقتها

التوحيد

للصف الثالث الثانوي

أقسام العلوم الإدارية والاجتماعية والطبيعية والتقنية

(بنين)

طبعة ١٤٢٧هـ - ١٤٢٨هـ
٢٠٠٦م - ٢٠٠٧م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السعودية، وزارة التربية والتعليم
التوحيد: للصف الثالث الثانوي: أقسام العلوم الإدارية والاجتماعية والطبيعية والتقنية.
-ط٣ .- الرياض.
. . . ص ١ . . . سم
ردمك: ٦-١٩٦-١٩-٩٩٦٠
١- التوحيد-كتب دراسية ٢- التعليم الثانوي-السعودية-كتب دراسية أ- العنوان.
ديوي ٢٤٠،٧١٢ ١٩/٢١٢٤

رقم الإيداع: ١٩/٢١٢٤
ردمك: ٦-٤٩٦-١٩-٩٩٦٠

لهذا الكتاب قيمة مهمة وفائدة كبيرة فلنحافظ عليه ولنجعل نظافته تشهد على حسن سلوكنا معه ....

إذا لم نحتفظ بهذا الكتاب في مكتبتنا الخاصة في آخر العام للاستفادة فلنجعل مكتبة مدرستنا تحتفظ به ...

موقع الوزارة
www.moe.gov.sa
موقع الإدارة العامة للمناهج
www.moe.gov.sa/curriculum/index.htm
البريد الإلكتروني للإدارة العامة للمناهج وحدة العلوم الشرعية
runit@moe.gov.sa


بسم الله الرحمن الرحيم

الفهـــرس

تابع الفهرس

الفصل الدراسي الأول

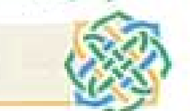
الانحراف في حياة البشرية
ولمحة تاريخية عن الكفر والشرك والنفاق

ويتضمن الفصول التالية:

الفصل الأول	:	الانحراف في حياة البشرية.
الفصل الثاني	:	الشرك - تعريفه وأنواعه.
الفصل الثالث	:	الكفر - تعريفه وأنواعه.
الفصل الرابع	:	النفاق - تعريفه وأنواعه.

عبادة الله تعالى هي الغاية:

خلق الله الخلق لعبادته، وهيأ لهم ما يعينهم عليها من رزقه، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾[1].



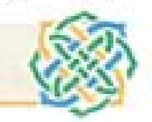
التوحيد هو الفطرة:

والنفس بفطرتها إذا تركت كانت مقرة لله بالإلهية مُحبة للّه تعبده لا تشرك به شيئاً. فالتوحيد مركوز في الفِطَر، والشرك طارئٌ ودخيلٌ عليها، قال الله تعالى:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾[2].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: **(ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يُهَوِّدانه أو يُنَصِّرانه أو يُمَجِّسانه)**[3].

فالأصل في بني آدم التوحيد والدين والإسلام من عهد آدم عليه السلام ومن جاء بعده من ذريته قروناً طويلة، قال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾[4].



بداية الانحراف في تاريخ البشرية:

وأول ما حدث الشرك والانحراف عن العقيدة في قوم نوح عليه السلام، فكان هو أول رسول، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾[5].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون كلهم على الإسلام.

---

(١) الآيات (٥٦-٥٨) من سورة الذاريات. (٢) الآية (٣٠) من سورة الروم.

(٣) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام ج٢ ص٩٧ ومسلم كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موتى أطفال الكفار وأطفال المسلمين حديث رقم ٢٦٥٨ صفحة ٢٠٤٧ .

(٤) الآية (٢١٣) من سورة البقرة.

(٥) الآية (١٦٣) من سورة النساء.

قال ابن القيم: وهذا القول هو الصواب قطعاً فإن قراءة أبي بن كعب (يعني في آية البقرة): **(فاختلفوا فبعث الله النبيين)**[1]، ويشهد لهذه القراءة قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ﴾[2]. فبعثة النبيين سببها الاختلاف عما كانوا عليه من الدين الصحيح.

وكان العرب بعد ذلك على دين إبراهيم - عليه السلام - حتى جاء عمرو بن لُحَيٍّ الخُزَاعي فَغَيَّر دين إبراهيم وجلب الأصنام إلى أرض العرب وإلى أرض الحجاز بصفة خاصة، فعبدت من دون الله وانتشر الشرك في هذه البلاد المقدسة وما جاورها، إلى أن بعث الله نبيه محمداً خاتم النبيين - ﷺ - فدعا الناس إلى التوحيد واتباع ملة إبراهيم وجاهد في الله حق جهاده حتى عادت عقيدة التوحيد وملة إبراهيم وكسر الأصنام وأكمل الله به الدين وأتم به النعمة على العالمين، وسارت على نهجه القرون المفضلة من صدر هذه الأمة، إلى أن فشا الجهل في القرون المتأخرة ودخلها الدخيل من الديانات الأخرى فعاد الشرك إلى كثير من هذه الأمة بسبب دعاة الضلال وبسبب البناء على القبور متمثلاً بتعظيم الأولياء والصالحين وادعاء المحبة لهم حتى بنيت الأضرحة على قبورهم، واتُّخِذت أوثاناً تعبد من دون الله بأنواع القربات من دعاء واستغاثة وذبح ونذر لمقاماتهم.

وسَمَّوا هذا الشرك توسلاً بالصالحين إظهاراً لمحبتهم وليس عبادة لهم بزعمهم، ونسوا أن هذا هو قول المشركين الأولين حيث يقولون: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾[3].

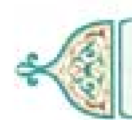
ومع هذا الشرك الذي وقع في البشرية قديماً وحديثاً فالأكثرية منهم يؤمنون بتوحيد الربوبية وإنما يشركون في العبادة كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[4].

ولم يجحد وجود الرب إلا نزر يسير من البشر كفرعون والملاحدة الدهريين والشيوعيين في هذا الزمان، وجحودهم به من باب المكابرة وإلا فهم مضطرون للإقرار به في باطنهم وقرارة نفوسهم، كما قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[5].

وعقولهم تعرف أن كل مخلوق لابد له من خالق، وكل موجود لا بد له من موجد، وأن نظام هذا الكون المنضبط الدقيق لا بد له من مدبر حكيم قدير عليم، من أنكره فهو إما فاقد لعقله أو مكابر قد ألغى عقله وسفه نفسه وهذا لا عبرة به.

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ١٠٢).
(٢) الآية (١٩) من سورة يونس.
(٣) الآية (٣) من سورة الزمر.
(٤) الآية (١٠٦) من سورة يوسف.
(٥) الآية (١٤) من سورة النمل



الأسئلة



س١ : لماذا خلق الله الخلق مع الاستدلال على ذلك؟

س٢ : اختر الإجابة الصحيحة:

(أ) الإنسان مفطور على الخير والشر.

(ب) الأصل في بني آدم الشرك فبعث الله النبيين لدعوتهم إلى التوحيد.

(جـ) كان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون كلهم على الإسلام.

(د) جاء قصي بن كلاب فغير دين إبراهيم الذي كان عليه العرب.

(هـ) أول من عبد الأصنام وجلبها إلى جزيرة العرب قبيلة خزاعة.

س٣ : ما المراد بالإيمان في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾؟

الفصل الثاني الشرك : تعريفه ـ أنواعه

(أ) تعريفـــــه:

الشرك هو جعل شريك لله تعالى في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته، والغالب وقوع الإشراك في الألوهية بأن يدعو مع الله غيره أو يصرف له شيئاً من أنواع العبادة كالذبح والنذر والخوف والرجاء والمحبة.

خطر الشرك وعظمه :

الشرك أعظم الذنوب وذلك لأمور :

١ - لأنه تشبيه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية، فمن أشرك مع الله أحداً فقد شبهه به، وهذا أعظم الظلم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[١].

والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، فمن عبد غير الله فقد وضع العبادة في غير موضعها وصرفها لغير مستحقها وذلك أعظم الظلم.

٢ - أن الله أخبر أنه لا يغفره لمن لم يتب منه، قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[٢].

٣ - أن الله أخبر أنه حرَّم الجنة على المشرك وأنه خالد مخلد في نار جهنم، قال تعالى:

﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[٣].

٤ - أن الشرك يحبط جميع الأعمال، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[٥].

٥ - أن المشرك إذا قاتل المسلمين يكون حلال الدم والمال، أما إذا لم يقاتل المسلمين فلا يعتدى عليه كما قال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾[٦]،

---

(١) الآية (١٣) من سورة لقمان. (٢) الآية (٤٨) من سورة النساء. (٣) الآية (٧٢) من سورة المائدة.
(٤) الآية (٨٨) من سورة الأنعام. (٥) الآية (٦٥) من سورة الزمر. (٦) الآية (١٩٠) من سورة البقرة.

أما الكافر الموجود في بلاد المسلمين التي فتحوها أو من جاء من الكفار إلى بلاد المسلمين لعمل أو تجارة وأعطوا العهد والأمان فهؤلاء لا يجوز الاعتداء على أموالهم أو أعراضهم أو قتلهم، وقد أخرج البخاري في صحيحه عن النبي ﷺ قال: **(من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة)**[١].

٦ - أن الشرك تنقص وعيب نزّه الرب سبحانه نفسه عنه فمن أشرك بالله فقد نسب لله ما نزه نفسه عنه وهذا غاية المحادة لله تعالى وغاية المعاندة والمشاقة لله.

٧ - أن الشرك أكبر الكبائر، عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: ﷺ: **(ألا أنبئكم بأكبر الكبائر)** ثلاثاً، قلنا: بلى يا رسول الله قال: **(الإشراك بالله وعقوق الوالدين)** الحديث[٢].

قال ابن القيم رحمه الله: «أخبر سبحانه أن القصد بالخلق والأمر أن يعرف بأسمائه وصفاته ويعبد وحده لا يشرك به»، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٣]. وأن يقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾[٤]، ومن أعظم القسط التوحيد وهو رأس العدل وقوامه، كما أخبر أن الشرك ظلم كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[٥].

فالشرك أظلم الظلم، والتوحيد أعدل العدل، فما كان أشد منافاة لهذا المقصود فهو أكبر الكبائر. أ. هـ[٦].



(ب) أنواع الشرك:

النوع الأول:

شرك أكبر يخرج من الملة ويخلد صاحبه في النار إذا مات ولم يتب منه، وهو صرف شيء من أنواع

(١) كتاب الجزية والموادعة، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم، ح ٣١٦٦.

(٢) رواه البخاري كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها حديث رقم ٨٧ ص ٩١.

(٣) الآية (٥٦) من سورة الذاريات.

(٤) الآية (٢٥) من سورة الحديد.

(٥) الآية (١٣) من سورة لقمان.

(٦) الجواب الكافي ص ١٠٩.



العبادة لغير الله، كدعاء غير الله والتقرب بالذبائح والنذور لغير الله من أصحاب القبور والجن والشياطين، ورجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من قضاء الحاجات وتفريج الكربات مما يمارس الآن حول الأضرحة المبنية على قبور الأولياء والصالحين. قال تعالى:

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[1].

النوع الثاني:

شرك أصغر لا يخرج من الملة لكنه ينقص التوحيد وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر، وهو قسمان:

القسم الأول: شرك ظاهر وهو: ألفاظ وأفعال. **فالألفاظ** كالحلف بغير الله، قال ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: لا يحلف بغير الله فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)**[2].

وهو شرك أصغر، إلا إذا كان المحلوف به معظماً عند الحالف إلى درجة عبادته له فهذا شرك أكبر، كما هو الحال اليوم عند عباد القبور فإنهم يخافون من يعظمون من أصحاب القبور أكثر من خوفهم من الله وتعظيمه بحيث إذا طلب من أحدهم أن يحلف بالولي الذي يعظمه لم يحلف به إلا إذا كان صادقاً، وإذا طلب منه أن يحلف بالله حلف به وإن كان كاذباً، فالحلف تعظيم للمحلوف به ولا يليق إلا بالله ويجب توقير اليمين بالله فلا يكثر منها قال تعالى: ﴿ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ﴾[3] أي لا تحلفوا إلا عند الحاجة وفي حالة الصدق والبر، لأن كثرة الحلف والكذب فيها يدلان على الاستخفاف بالله وعدم التعظيم له وهذا ينافي كمال التوحيد.

ففيه شدة الوعيد على كثرة الحلف مما يدل على تحريمه احتراماً لاسم الله تعالى وتعظيماً له سبحانه وكذلك يحرم الحلف بالله كاذباً وقد وصف الله المنافقين بأنهم يحلفون على الكذب وهم يعلمون.

---

(١) الآية (١٨) من سورة يونس.

(٢) رواه الترمذي، كتاب النذور والأيمان، باب ماجاء في كراهية الحلف بغير الله رقم ١٥٣٥ وعند أبي داود عن ابن عمر: (من حلف بغير الله فقد أشرك) كتاب الأيمان والنذور باب في كراهية الحلف بالآباء وصححه الحاكم وغيره.

(٣) الآية ٨٩ من سورة المائدة.

وقول: ما شاء الله وشئت، وقول: لولا الله وفلان. والصواب أن يقال: ما شاء الله ثم فلان، ولولا الله ثم فلان، لأن ثم تقتضي الترتيب مع التراخي فتجعل مشيئة العبد تابعة لمشيئةالله، قال تعالى:
﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [1]، وأما الواو فهي لمطلق الجمع والاشتراك لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً.

ومن الأمثلة أيضاً قول: ما لي إلا الله وأنت، وهذا من بركات الله وبركاتك.

وأما **الأفعال:** فمثل لبس الحَلْقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه، ومثل تعليق التمائم خوفاً من العين وغيرها إذا اعتقد أن هذه أسباب لرفع البلاء أو دفعه فهذا شرك أصغر؛ لأن الله لم يجعل هذه أسباباً. أما إن اعتقد أنها تدفع أوترفع البلاء بنفسها فهذا شرك أكبر؛ لأنه تعلق بغير الله.

القسم الثاني من الشرك الأصغر: شرك خفي وهو الشرك في الإرادات والنيات _كالرياء والسمعة_ كأن يعمل عملاً مما يتقرب به إلى الله يريد به ثناء الناس عليه، كأن يحسن صلاته أو يتصدق لأجل أن يمدح ويثنى عليه، أويتلفظ بالذكر ويحسن صوته بالتلاوة لأجل أن يسمعه الناس فيثنوا عليه ويمدحوه، والرياء إذا خالط العمل أبطله. قال الله تعالى:
﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [2].

وقال النبي ﷺ: **(أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر _قالوا:يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء)** [3].

ومنه العمل لأجل الطمع الدنيوي، كمن يحج أو يؤذن أو يؤم الناس لأجل المال، أو يتعلم العلم الشرعي أو يجاهد لأجل المال. قال النبي ﷺ: **(تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط)** [4].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وأما الشرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له وقلَّ من ينجو منه، فمن أراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئاً غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته، والإخلاص: أن يخلص لله في أفعاله وأقواله وإرادته ونيته.

---

(١) الآية (٢٩) من سورة التكوير.

(٢) الآية (١١٠) من سورة الكهف.

(٣) رواه أحمد ج٥ص٤٢٨، ٤٢٩ والطبراني في الكبير رقم٤٣٠١ والبغوي في شرح السنة ج١٤ ص٣٢٣، ٣٢٤ وقال المنذري: إسناده حسن، وقال الهيثمي بعدما عزاه لأحمد: ورجاله رجال الصحيح، وقال الحافظ ابن حجر: إسناده حسن.

(٤) رواه البخاري كتاب الجهاد والسير باب الحراسة في الغزو ج٣ ص٢٢٣ وكتاب الرقاق باب ما يتقى من فتنة المال ج٧ ص١٧٥.

وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم ولا يقبل من أحد غيرها وهي حقيقة الإسلام. كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[1] وهي ملة إبراهيم عليه السلام التي من رغب عنها فهو من أسفه السفهاء[2]، انتهى.

الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر:

مما مر يتبين أن هناك فروقاً بين الشرك الأكبر والأصغر وهي:

١- الشرك الأكبر يخرج من الملة، والشرك الأصغر لا يخرج من الملة.

٢- الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار، والشرك الأصغر لا يخلد صاحبه فيها إن دخلها.

٣- الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، والشرك الأصغر لا يحبط جميع الأعمال وإنما يحبط العمل الذي خالطه الرياء أو كان العمل لأجل الدنيا فقط.

٤- الشرك الأكبر يبيح الدم والمال، والشرك الأصغر لا يبيحهما.

٥- الشرك الأكبر يوجب العداوة الخالصة بين صاحبه وبين المؤمنين فلا يجوز للمؤمنين محبته وموالاته ولو كان أقرب قريب، وأما الشرك الأصغر فإنه لا يمنع الموالاة مطلقاً بل صاحبه يُحَبُّ ويُوالَى بقدر ما فيه من الإيمان ويُعَادَى بقدر ما فيه من العصيان. والمقصود بتحريم محبة الكافر هنا المحبة الدينية التي تقتضي المناصرة والمؤازرة فهذه لا تجوز إلا للمسلم، وأما الكافر فيبغض لأجل كفره ولو كان أقرب قريب وأدلة هذا الأصل كثيرة قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾[3] الآية وقوله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾[4]. وأما المحبة الطبيعية كمحبة الزوجة أو الوالد أو الولد أو الأخ إذا كانوا كفاراً غير محاربين فجائزة، فطبيعة العلاقة بينهما علاقة بر وتعاون وإحسان ودعوة، ولذلك يجوز الإهداء إليهم والتعامل معهم ويحرم التعدي عليهم وظلمهم،

---

(١) الآية (٨٥) من سورة آل عمران.

(٢) الجواب الكافي ص١١٥.

(٣) سورة الممتحنة آية ٤.

(٤) سورة المجادلة آية: ٢٢.

قال تعالى: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[1].

فالنهي واقع على التولي والمحبة لأجل الدين، والأمر بالإحسان والبر واقع على الإحسان لأجل القرابة أو لأجل الجوار على وجه لا يخل بدين المسلم.

الأسئلة

س١: عرف الشرك، ولماذا صار أعظم الذنوب؟

س٢: اذكر الدليل على:

(أ) أن الله لا يغفر لمن أشرك به.

(ب) أن الله حرم الجنة على المشرك وأنه مخلد في النار.

(جـ) أن الشرك أكبر الكبائر.

س٣: علل لما يأتي:

١- الشرك أظلم الظلم.

٢- الشرك تنقص وعيب نزّه الله سبحانه نفسه عنه.

٣ - المشرك أجهل الجاهلين بالله.

س٤: اذكر أنواع الشرك مع الاستدلال على ذلك.

س٥: ضع علامة (✓) أو علامة (✗) أمام العبارات التالية:

١- الشرك الأكبر يخرج صاحبه من الملة ولا يخلده في النار. (   )

٢- رجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك أصغر. (   )

٣- الحلف بغير الله شرك خفي. (   )

٤- لبس الحلقة والخيط واعتقاد أن هذه أسباب لرفع البلاء شرك أصغر. (   )

٥- من يحسن صلاته ويتصدق من أجل أن يمدحه الناس ويثنوا عليه شرك خفي. (   )

س٦: اذكر الفروق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر.

---

(١) سورة الممتحنة الآية: ٨-٩.

الفصل الثالث: الكفر: تعريفه ـ أنواعه

(أ) تعريفـــه:

الكفر في اللغة: التغطية والستر.

والكفر شرعاً: ضد الإيمان - فإن الكفر عدم الإيمان بالله ورسلـه - سواء أكان معه تكذيب أم لم يكن معه تكذيب، بل شك وريب أو إعراض عن الإيمان أو حسدٌ أو كـبرٌ أو اتباع لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة. وإن كان المكذب أعظم من غيره[1].

(ب) أنواعـــه:

الكفر نوعان: النوع الأول: كفر أكبر يخرج من الملة وهو خمسة أقسام:

القسم الأول: كفر التكذيب، والدليل قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾[2].

القسم الثاني: كفر الإباء والاستكبار مع التصديق، والدليل قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾[3].

القسم الثالث: كفر الشك - وهو كفر الظن - والدليل قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾[4].

---

(١) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٢/ ٣٣٥).

(٢) الآية (٦٨) من سورة العنكبوت.

(٣) الآية (٣٤) من سورة البقرة.

(٤) الآية (٣٥-٣٨) من سورة الكهف.



القسم الرابع : كفر الإعراض، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾[1].

القسم الخامس : كفر النفاق، والدليل قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾[2].

النوع الثاني: كفر أصغر لا يخرج من الملة، مثل الذنوب التي وردت تسميتها في الكتاب والسنة كفراً وهي لا تصل إلى حد الكفر الأكبر، مثل كفر النعمة المذكور في قوله تعالى:

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ﴾[3].

ومثل الحلف بغير الله قال ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»[4].

ومثل قتال المسلم المذكور في الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (**سِبابُ المسلم فُسُوقٌ وقتاله كُفْرٌ**)[5].

وفي حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ في حجة الوداع: (**استنصت الناس**) ثم قال: (**لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**)[6].

وقد جعل الله مرتكب الكبيرة مؤمناً كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ﴾[7].

فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا وجعله أخاً لولي القصاص فقال: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾[8]. والمراد أخوة الدين بلا ريب، وقال تعالى: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾. إلى قوله: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾[9]، [10].

وأما الفرق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر فيقال فيه مثل ما قيل في الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر.

---

(١) الآية ٣ من سورة الأحقاف.

(٢) الآية (٣) من سورة المنافقون.

(٣) الآية (١١٢) من سورة النحل.

(٤) تقدم تخريجه ص ١٤ .

(٥) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر ج ١ ص ١٧-١٨ ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي ﷺ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر حديث ٦٤ ص ٨١ وفي مواضع أخرى فيهما.

(٦) رواه البخاري، كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء ج ١ ص٣٨ ومواضع أخرى فيه، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان معنى قول النبي ﷺ لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض حديث ٦٥ ص ٨١-٨٢.

(٧) الآية (١٧٨) من سورة البقرة.

(٨) الآية (١٧٨) من سورة البقرة.

(٩) الآية (٩-١٠) من سورة الحجرات.

(١٠) شرح الطحاوية صفحة (٣٦١) ط المكتب الإسلامي.



الأسئلة

س١: عرف الكفر لغة وشرعاً.

س٢: اذكر الأدلة على ما يأتي:

(أ) كفر الظن.

(ب) كفر التكذيب.

(جـ) كفر الإباء والاستكبار مع التصديق.

(د) كفر الإعراض.

(هـ) كفر النفاق.

س٣: بين الكفر المخرج من الملة في النصوص التالية:

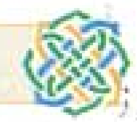
(أ) قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾.

(ب) قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ﴾.

(جـ) قال ﷺ: **(سباب المسلم فسوق وقتاله كفر).**

(د) قال ﷺ: **(من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك).**

الفصل الرابع: النفاق : تعريفه ـ وأنواعه



تعريفـــه:

النفاق لغة مصدر: نافق، يقال: نافق ينافق نفاقاً ومنافقة وهو مأخوذ من النافقاء: أحد مخارج اليربوع من جحره فإنه إذا طُلِب من واحد هرب إلى الآخر وخـرج منه، وقيل: هو من النَّفَق وهو السَّـرَب يستتر فيه[1].

وأما النفـاق في الشرع فـمعناه: إظهار الإسـلام والخير وإبطان الكفر والشـر. سمي المنافق بذلك لأنه يدخل في الشرع من باب ويخرج منه من باب آخر. وعلى ذلك نبَّه الله تعالى بقوله:

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[2] أي الخارجون من الشرع.

وجعل الله المنافقين شراً من الكافرين فقال: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾[3].

وقـال تعـالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾[4]. وقـال تعـالى: ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠) ﴾[5].



أنواعـه :

النفاق نوعان :

النوع الأول: النفاق الاعـتقادي وهو النفـاق الأكبر الذي يظهر صـاحبه الإسلام ويبطن الكفر. وهذا النوع مخرج من الدين بالكلية وصاحبه في الدرك الأسفل من النار.

---

(١) النهاية لابن الأثير (٥/٩٨) بمعناه.

(٢) الآية (٦٧) من سورة التوبة.

(٣) الآية (١٤٥) من سورة النساء.

(٤) الآية (١٤٢) من سورة النساء.

(٥) الآية (١٠) من سورة البقرة.

صفات أهله والتحذير منهم: وقد وصف الله أهله بصفات الشر كلها من الكفر وعدم الإيمان والاستهزاء بالدين وأهله والسخرية منهم والميل بالكلية إلى أعداء الدين لمشاركتهم لهم في عداوة الإسلام، وهؤلاء موجودون في كل زمان ولا سيما عندما تظهر قوة الإسلام ولا يستطيعون مقاومته في الظاهر فإنهم يظهرون الدخول فيه لأجل الكيد له ولأهله في الباطن، ولأجل أن يعيشوا مع المسلمين ويأمنوا على دمائهم وأموالهم، فيظهر المنافق إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله مكذب به، لا يؤمن بالله، ولا أن الله تكلم بكلام أنزله على بشر جعله رسولاً للناس يهديهم بإذنه وينذرهم بأسه ويخوفهم عقابه.

وقد هتك الله أستار هؤلاء المنافقين وكشف أسرارهم في القرآن الكريم وجلى لعباده أمورهم ليكونوا منها ومن أهلها على حذر، وذكر طوائف العالم الثلاث في أول البقرة، المؤمنين والكفار والمنافقين، فذكر في المؤمنين أربع آيات، وفي الكفار آيتين، وفي المنافقين ثلاث عشرة آية، لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم وشدة فتنتهم على الإسلام وأهله. فإن بلية الإسلام بهم شديدةٌ جداً، لأنهم منسوبون إليه وإلى نصرته وموالاته وهم أعداؤه في الحقيقة، يخرجون عداوته في كل قالب يظن الجاهل أنه علم وإصلاح وهو غاية الجهل والإفساد[1].



من أنواع النفاق الاعتقادي[2]:

١ - تكذيب الرسول ﷺ.

٢ - تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

٣ - بغض الرسول ﷺ.

٤ - بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

٥ - المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ.

٦ - الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ.

---

(١) انظر مدارج السالكين ج١ ص٣٤٧، ٣٤٨.

(٢) مجموعة التوحيد النجدية صفحة (٩).

النوع الثاني: النفاق العملي وهو النفاق الأصغر - وهو عمل شيء من أعمال المنافقين مع بقاء الإيمان في القلب. وهذا لا يخرج من الملة - لكنه وسيلة إلى ذلك، وصاحبه يكون فيه إيمان ونفاق وإذا كثر صار بسببه منافقاً خالصاً. والدليل عليه: قوله - ﷺ-: (**أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**)[1] فمن اجتمعت فيه هذه الخصال الأربع فقد اجتمع فيه الشر وخلصت فيه نعوت المنافقين، ومن كانت فيه واحدة منها صار فيه خصلة من النفاق، فإنه قد يجتمع في العبد خصال خير وخصال شر وخصال إيمان وخصال كفر ونفاق. ويستحق من الثواب والعقاب بحسب ما قام به من موجبات ذلك، ومنه التكاسل عن الصلاة مع الجماعة في المسجد خاصة صلاة العشاء والفجر فإنه من صفات المنافقين، فالنفاق شر وخطير جداً وكان الصحابة يتخوفون الوقوع فيه، قال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ - كلهم يخاف النفاق على نفسه.

الفروق بين النفاق الأكبر والنفاق الأصغر:

١- أن النفاق الأكبر يخرج من الملة ويخلد صاحبه في النار، والنفاق الأصغر لا يخرج من الملة ولا يخلد صاحبه في النار.

٢- أن النفاق الأكبر اختلاف السر والعلانية في الاعتقاد، والنفاق الأصغر اختلاف السر والعلانية في الأعمال دون الاعتقاد.

٣- أن النفاق الأكبر لا يصدر من مؤمن، وأما النفاق الأصغر فقد يصدر من مؤمن.

٤- أن النفاق الأكبر في الغالب لا يتوب صاحبه ولو تاب فقد اختلف في قبول توبته عند الحاكم، بخلاف النفاق الأصغر فإن صاحبه يتوب إلى الله في الغالب فيتوب الله عليه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكثيراً ما تعرض للمؤمن شعبة من شعب النفاق ثم يتوب الله عليه، قد يرد على قلبه بعض ما يوجب النفاق ويدفعه الله عنه والمؤمن يبتلى بوساوس الشيطان وبوساوس الكفر التي يضيق بها صدره كما قال الصحابة: يا رسول الله إن أحدنا ليجد في نفسه ما لأنْ يخر من السماء إلى الأرض

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق ج١ ص١٤ ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق حديث رقم ٥٨ ص٧٨.

أحب إليه من أن يتكلم به فقال: (ذلك صريح الإيمان) وفي رواية: ما يتعاظم أن يتكلم به. قال: (الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة) [1] أي حصول هذا الوسواس مع هذه الكراهة العظيمة ودفعه عن القلب هو من صريح الإيمان - انتهى) [2].

وأما أهل النفاق الأكبر فقد قال الله فيهم:

﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [3] أي إلى الإسلام في الباطن، وقال تعالى فيهم:

﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [4].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقد اختلف العلماء في قبول توبتهم في الظاهر لكون ذلك لا يعلم إذ هم دائماً يظهرون الإسلام) [5].

الأسـئلة

س١: عرف النفاق لغة وشرعاً.

س٢: ما أنواع النفاق؟ وأي الأنواع المخرج من الملة؟

س٣: أيهما أشد خطراً على الدين الكفار أم المنافقون؟ ولماذا؟

س٤: بيِّن النفاق الاعتقادي والعملي في الصور التالية:

(أ) تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

(ب) التكاسل عن الصلاة مع الجماعة في المسجد.

(جـ) الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ.

(د) الكذب في الحديث.

(هـ) الفجور في المخاصمة.

(و) المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ.

س٥: اذكر الفروق بين النفاق الأكبر والنفاق الأصغر.

---

(١) الحديث في مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ فسألوه إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: (وقد وجدتموه) قالوا: نعم، قال: (ذاك صريح الإيمان) كتاب الإيمان باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها حديث رقم ١٣٢ ص ١١٩ وفي سنن أبي داود بسند صحيح عن ابن عباس قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن أحدنا يجد في نفسه يعرّض بالشيء، لأن يكون حُمَمَةً أحب إليه من أن يتكلم به. فقال: (الله أكبر الله أكبر الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة) كتاب الأدب، وانظر المسند ج ٢ ص ٣٩٧، ٤٤١، ٤٥٦.

(٢) انظر كتاب الإيمان صفحة ٢٣٨.

(٣) الآية (١٨) من سورة البقرة.

(٤) الآية (١٢٦) من سورة التوبة.

(٥) انظر مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٣٤-٤٣٥).



الباب الثاني

أقوال وأفعال تنافي التوحيد أو تنقصه

ويتضمن الفصول التالية:

الفصل الأول	:	ادعاء علم الغيب في قراءة الكف والفنجان وغيرهما.
الفصل الثاني	:	السحر والكهانة والعرافة.
الفصل الثالث	:	الرقى والتمائم.
الفصل الرابع	:	تقديم القرابين والنذور والهدايا للمزارات والقبور وتعظيمها.
الفصل الخامس	:	تعظيم التماثيل والنصب التذكارية.
الفصل السادس	:	الاستهزاء بالدين والاستهانة بحرماته.
الفصل السابع	:	ادعاء حق التشريع والتحليل والتحريم.
الفصل الثامن	:	الحكم بغير ما أنزل الله.
الفصل التاسع	:	الانتماء إلى المذاهب الإلحادية والأحزاب الجاهلية.
الفصل العاشر	:	النظرة المادية للحياة.
الفصل الحادي عشر	:	التوسل بغير الله والاستعانة بالمخلوق.

الفصل الأول

ادعاء علم الغيب في قراءة الكف والفنجان وغيرهما

المراد بالغيب:

ما غاب عن الناس من الأمور المستقبلية والماضية وما لا يرونه، وقد اختص الله بعلمه، قال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾[1]. فلا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وحده، وقد يطلع رسله على ما شاء من غيبه لحكمة ومصلحة، قال تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾[2]. أي لا يُطْلع على شيء من الغيب إلا من اصطفاه لرسالته فيظهره على ما يشاء من الغيب؛ لأنه يستدل على نبوته بالمعجزات التي منها الإخبار عن الغيب الذي يطلعه الله عليه، وهذا يعم الرسول من الملائكة ومن البشر ولا يطَّلع عليه غيرهم لدليل الحصر.

حكم ادعاء علم الغيب:

من ادعى علم الغيب بأي وسيله من الوسائل غير من استثناه الله من رسله فهو كاذب كافر.

صور ادعاء علم الغيب:

ادعاء الغيب قد يكون بواسطة قراءة الكف أو الفنجان أو الكهانة أو السحر أو التنجيم أو غير ذلك وهذا الذي يحصل من بعض المشعوذين والدجالين من الإخبار عن مكان الأشياء المفقودة والأشياء الغائبة وعن أسباب بعض الأمراض، فيقولون فلان عمل لك كذا وكذا فمرضت بسببه وإنما هو نتيجة لاستخدام الجن والشياطين، ويظهرون للناس أن هذا يحصل لهم عن طريق عمل هذه الأشياء من باب الخداع والتلبيس، وقد يكون إخبارهم عن ذلك عن طريق التنجيم.

تعريف التنجيم:

وهو الاستدلال بأحوال النجوم على الحوادث الأرضية، فيقولون: من تزوج في نجم كذا وكذا حصل له كذا وكذا، ومن سافر في نجم كذا حصل له كذا، ومن وُلِدَ في نجم كذا وكذا حصل له كذا من السعود

---

(١) الآية ٦٥ من سورة النمل.

(٢) الآيتان (٢٦-٢٧) من سورة الجن.

أو النحوس كما يعلن في بعض المجلات من الخزعبلات حول البروج وما يجري فيها من الحظوظ.

وقد يذهب بعض الجهال وضعاف الإيمان إلى هؤلاء المنجمين فيسألهم عن مستقبل حياته وما يجري عليه فيه وعن زواجه وغير ذلك، ومن ادعى علم الغيب أو صدق من يدَّعيه فهو مشرك كافر، لأنه يدعي مشاركة الله فيما هو من خصائصه. والنجوم مسخرة مخلوقة ليس لها من الأمر شيء ولا تدل على نحوس ولا سعود ولا موت ولاحياة. وليس من علم التنجيم المحرم تَعَلُّمُ منازل الشمس والقمر ومعرفة النجوم للاستدلال بذلك على جهة القبلة وأوقات الصلوات والفصول، قال تعالى: ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا ﴾[2].



س١: ما المراد بالغيب؟ وما الدليل على اختصاص الله تعالى به؟

س٢: من الذي يطلعه الله على شيء من الغيب؟ وما الحكمة في ذلك؟

س٣: ما سبب إخبار الكهان عن بعض المغيبات؟

س٤: عرف التنجيم، وما حكمه؟ مع التعليل.

س٥: بين حكم ما يأتي:

(أ) ذهاب بعض الناس إلى المنجمين ليسألوهم عن مستقبل حياتهم.

(ب) تعلم بعض الناس منازل الشمس والقمر لمعرفة جهة القبلة.

(جـ) تعلم بعض الناس منازل النجوم لمعرفة الفصول.

(د) الإعلان في بعض المجلات حول البروج وما يجري فيها من الحظوظ.

---

(١) الآية (١٦) من سورة النحل.

(٢) الآية (٩٧) من سورة الأنعام.



الفصل الثاني: السحر والكهانة والعرافة [1]

١ - تعريف السحر:

لغة: ما خفي ولطف سببه، وسمي سحراً لأنه يحصل بأمور خفية لا تدرك بالأبصار.

وشرعاً: عزائمُ وعُقَدٌ ينفث فيها ورُقَى وكلام يتكلم به وأدوية وتدخينات. وله حقيقة، ومنه ما يؤثر في القلب والبدن فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه.

وتأثيره بإذن الله الكوني القدري، وهو عمل شيطاني - وكثير منه لا يتوصل إليه إلا بالشرك والتقرب إلى الأرواح الخبيثة بما تحب والتوصل إلى استخدامها بالإشراك بها - ولهذا قرنه الشارع بالشرك حيث يقول النبي ﷺ: (**اجتنبوا السبع الموبقات قالوا وما هن؟قال: الإشراك بالله والسحر**)[2] الحديث.

حكم السحر:

السحر كفر وشرك يناقض العقيدة ويجب قتل متعاطيه، كما قَتَلَ جماعةٌ من أكابر الصحابة رضي الله عنهم السحرةَ، وقد تساهل الناس في شأن الساحر وربما عَدُّوا ذلك فنّاً من الفنون التي يفتخرون بها ويمنحون أصحابها الجوائز والتشجيع، ويقيمون النوادي والمسابقات للسحرة ويحضرها آلاف المتفرجين والمشجعين، وهذا من الجهل بالدين والتهاون بشأن العقيدة وتمكين للعابثين بها.

---

(١) العرَّاف: هو الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك، وقيل: هو الكاهن. والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: العرَّاف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق.

(٢) رواه البخاري كتاب الوصايا باب قوله الله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً﴾ الآية ج ٣ ص ١٩٥، ومسلم كتاب الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها حديث رقم٨٩ ص٩٢.

٢ - الكهانة والعرافة:

وهما ادعاء الغيب ومعرفة الأمور الغائبة كالإخبار بما سيقع في الأرض، وأين مكان الشيء المفقود، وذلك عن طريق استخدام الشياطين الذين يسترقون السمع من السماء. كما قال تعالى:
﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾(١).

وذلك أن الشيطان يسترق الكلمة من كلام الملائكة فيلقيها في أذن الكاهن ويكذب الكاهن مع هذه الكلمة مائة كذبة فيصدقه الناس بسبب تلك الكلمة التي سُمعت من السماء.

حكم الكهانة:

الله سبحانه وتعالى هو المنفرد بعلم الغيب، فمن ادعى مشاركته في شيء من ذلك بكهانة أو غيرها أو صدَّق من يدعي ذلك فقد جعل لله شريكاً فيما هو من خصائصه، والكهانة لا تخلو من الشرك فهي شرك في الربوبية من حيث ادعاء مشاركة الله في علمه. وشرك في الألوهية من حيث التقرُّب إلى غير الله بشيء من العبادة، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقدكفر بما أنزل على محمد ﷺ)** (٢).

خطر الكهنة والسحرة والعرافين على الناس:

ومما يجب التنبيه عليه والتنبُّه له: أن السحرة والكهان والعرافين يعبثون بعقائد الناس بحيث يظهرون بمظهر الأطباء فيأمرون بالذبح لغير الله، بأن يذبحوا خروفاً صفته كذا أو دجاجة، أو يكتبون لهم الطلاسم الشركية والتعاويذ الشيطانية بصفة حروز يعلقونها في رقابهم أو يضعونها في صناديقهم أو في بيوتهم، والبعض الآخر يظهر بمظهر المخبر عن المغيبات وأماكن الأشياء المفقودة بحيث يأتيه الجهال فيسألونه عن الأشياء الضائعة فيخبرهم بها أو يحضرها لهم بواسطة عملائه من الشياطين، وبعضهم

---

(١) الآيات (٢٢١-٢٢٣) من سورة الشعراء.

(٢) رواه أحمد ج٢ ص٤٢٩ والحاكم ج١ ص٨ وصححه على شرطهما: وقال الذهبي: إسناده قوي، وانظر سنن أبي داود، كتاب الطب باب في الكاهن، والترمذي كتاب الطهارة باب ما جاء في كراهية إتيان الحائض، وابن ماجه كتاب الطهارة باب النهي عن إتيان الحائض، والدارمي كتاب الطهارة باب من أتى امرأته في دبرها.

يظهر بمظهر الولي له خوارق وكرامات كدخول النار ولا تؤثّر فيه، وضرب نفسه بالسلاح، أو وضع نفسه تحت عجلات السيارة ولا تؤثّر فيه، أو غير ذلك من الشعوذات التي هي في حقيقتها سحر من عمل الشيطان يجري على أيدي هؤلاء للفتنة، أو هي أمور تخيُلية لا حقيقة لها بل هي حيل خفية يتعاطونها أمام الأنظار كعمل سحرة فرعون بالحبال والعصي.

مثال من دجل السحرة وتلبيسهم:

قال شيخ الإسلام رحمه الله في مناظرته للسحرة البطائحية الأحمدية (الرفاعية): قال: (يعني شيخ البطائحية) ورفع صوته: نحن لنا أحوال وكذا وكذا، وادعى الأحوال الخارقة كالنار وغيرها واختصاصهم بها، وأنهم يستحقون تسليم الحال إليهم لأجلها، قال شيخ الإسلام: فقلت ورفعت صوتي وغضبت: أنا أخاطب كل أحمدي من مشرق الأرض إلى مغربها، أي شيء فعلوه في النار فأنا أصنع مثل ما تصنعون ومن احترق فهو مغلوب، وربما قلت: فعليه لعنة الله، ولكن بعد أن تغسل جسومنا بالخل والماء الحار، فسألني الأمراء والناس عن ذلك فقلت: لأن لهم حيلاً في الاتصال بالنار يصنعونها من أشياء من دهن الضفادع وقشر النارنج وحجر الطلق فضجّ الناس بذلك، فأخذ يظهر القدرة فقال: أنا وأنت نلف في بارية بعد أن تطلى جسومنا بالكبريت، فقلت: فقم وأخذت أكرّر عليه بالقيام إلى ذلك، فمدّ يديه يظهر خلع القميص، فقلت: لا، حتى تغتسل بالماء الحار والخل فأظهر الوهم على عادتهم فقال: من كان يحب الأمير فليحضر خشباً، أو قال حزمة حطب فقلت: هذا تطويل وتفريق للجمع ولا يحصل به مقصود، بل قنديل يوقد وأدخل أصبعي وأصبعك فيه بعد الغسل ومن احترقت أصبعه فعليه لعنة الله أو قلت فهو مغلوب.

فلما قلت ذلك تغيّر وذَلَّ - انتهى[1]، والمقصود منه بيان أن هؤلاء الدجالين يكذبون على الناس بمثل هذه الحيلة الخفية.

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/٤٦٥-٤٦٦).

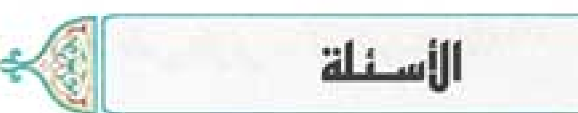
علاقتها بالشرك:

كل هذه الأمور أعمال شيطانية محرمة، تُخِلُّ بالعقيدة أو تناقضها لأنها لا تحصل إلاَّ بأمور شركية، فهي داخلة في الشرك من ناحيتين:

الناحية الأولى: ما فيها من استخدام الشياطين والتعلُّق بهم والتقرُّب إليهم بما يحبونه من طاعتهم وصرف شيء من العبادة لهم ليقوموا بخدمة الساحر، فالسحر من تعليم الشياطين - قال تعالى:

﴿ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾[1].

الناحية الثانية: ما فيها من دعوى علم الغيب ودعوى مشاركة الله في ذلك، وهذا كفر وضلال قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾[2] أي: نصيب.



الأسئلة

س١: عرِّف السحر لغةً وشرعاً، ولماذا سمي السحر سحراً؟

س٢: لماذا قُرن السحر بالشرك؟ مع الاستدلال على ذلك.

س٣: ما حكم متعاطي السحر؟ وماذا يجب نحوه؟ مع الاستدلال.

س٤: ما الكهانة والعرافة: وما حكمهما؟

س٥: اذكر صوراً تبيِّن خطر الكهنة والسحرة والعرافين على الناس.

س٦: ما حكم الذهاب إلى الكهان والعرافين للعلاج عندهم؟ دلِّل على ما تقول.

س٧: ما حكم تمكين الكهان والعرافين من إظهار أعمالهم أمام الجمهور من المسلمين؟ علِّل ما تقول.

س٨: ما وجه كون الكهانة شركاً في الربوبية وشركاً في الألوهية؟

س٩: اذكر مثالاً من دجل السحرة وتلبيسهم.

س١٠: ما علاقة السحر والكهانة والعرافة بالشرك؟

---

(١) و (٢) الآية (١٠٢) من سورة البقرة.

الفصل الثالث

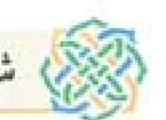
الرُّقى والتمائم

تعريف الرُّقَى :

الرُّقَى: جمع رُقْـية وهي العُوْذَة التي يُرْقَى بهـا صاحب الآفة كالحـمى والصرع وغيـر ذلك من الآفات ويسمونها العزائم وهي على نوعين:

النوع الأول: مـا كان خـالياً من الشـرك بأن يُقْرأ علـى المريض شيءٌ من القرآن أو يُعَـوَّذ بأسمـاء الله وصفاته فهذا مباح؛لأن النبي ﷺ - قد رَقَى وأمر بالرُّقَى وأجازها.

عن عوف بن مالك رضي الله عنه- قال: كنا نرقي في الجـاهلية فقلنا: يا رسـول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: **(اعرضوا عَلَيَّ رُقَاكم لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً)** [1].



شروط الرقية الشرعية:

قال السيوطي: وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

١) ـ أن تكون بكلام الله أو بأسماء الله وصفاته أو بالأدعية النبوية.

٢) ـ أن تكون باللسان العربي وما يعرف معناه.

٣) ـ أن يعتقد أن الرقى لا تؤثِّر بذاتها، بل بتقدير الله تعالى [2].

كيفيتها:

أن يقرأ وينفث على المريض، أو يقـرأ في ماء ويسقاه المريض، كـما جاء في حديث عـائشة رضي الله عنها: **(أن النبي ﷺ كان يقول للمريض بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يُشْفَى سقيمنا بإذن ربنا)** [3].

---

(١) رواه مسلم كتب السلام باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك حديث ٢٢٠٠ ص١٧٢٧ .

(٢) فتح المجيد ص١٣٥ بتصرف.

(٣) رواه البخاري، كتاب الطب، باب رقية النبي ﷺ، ومسلم، كتاب السلام، باب رقية المريض بالمعوذات والنفث حديث ٢١٩٤ ص١٧٢٤، ومعنى الحديث: أنه يأخذ من ريقه على أصبعه السبابة ثم يضعها على التراب فيعلق بها منه شيء، فيمسح به على الموضع أو العليل، ويقول هذا في حال المسح.

النوع الثاني: ما لم يَخْلُ من الشرك وهي الرقى التي يستعان فيها بغير الله من دعاء غير الله والاستغاثة والاستعاذة به، كالرقى بأسماء الجن أو بأسماء الملائكة والأنبياء والصالحين فهذا دعاء لغير الله وهو شرك أكبر، وأما إن كان بغير اللسان العربي أو بما لا يعرف معناه فيخشى أن يدخلها كفر أو شرك ولا يعلم عنه فهذا النوع من الرقى ممنوع سداً للذريعة.

تعريف التمائم:

التمائم: هي جمع تميمة وهي: ما يعلق بأعناق الصبيان لدفع العين، وقد يعلق على الكبار من الرجال والنساء وهي على نوعين:

النوع الأول: ما كان من القرآن، بأن يكتب آيات من القرآن، أو من أسماء الله وصفاته ويعلّقها للاستشفاء بها فهذا النوع قد اختلف العلماء في حكم تعليقه على قولين:

القول الأول: الجواز وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وهو ظاهر ما روي عن عائشة وبه قال أبو جعفر الباقر رحمه الله وأحمد بن حنبل رحمه الله في رواية عنه وحملوا الحديث الوارد في المنع من تعليق التمائم التي فيها شرك.

القول الثاني: المنع من ذلك وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنهما، وهو ظاهر قول حذيفة رضي الله عنه وعقبة بن عامر رضي الله عنه وابن عُكَيم رضي الله عنه، وبه قال جماعة من التابعين منهم أصحاب ابن مسعود وأحمد في رواية اختارها كثير من أصحابه وجزم بها المتأخرون، واحتجوا بما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن الرقى والتمائم والتِّوَلَةَ[١] شِرْكٌ**)[٢].

(١) التولة: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته.

(٢) رواه أبو داود، كتاب الطب، باب في تعليق التمائم حديث ٣٨٨٣ وابن ماجه، كتاب الطب، باب تعليق التمائم حديث ٣٥٣٠ وأحمد ج١ ص٣٨١ والحاكم ج٤ص٢١٧، والبغوي في شرح السنة ج١٢ ص١٥٦، ١٥٧، وانظر كلام الألباني في الصحيحة ج١ حديث ٣٣١.

وهذا هو الصحيح لوجوه ثلاثة :

الأول: عموم النهي ولا مخصص للعموم.

الثاني: سد الذريعة فإنها تؤدي إلى تعليق ما ليس مباحاً.

الثالث: أنه إذا علق شيئاً من القرآن فلا بد أن يمتهنه المعَلِّق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك ولا سيما إذا كان من الصبيان[1].

النوع الثاني من التمائم :

وهي التي تعلق على الأشخاص من غير القرآن، كالخرز والعظام والودع والخيوط والنعال والمسامير وأسماء الشياطين والجن والطلاسم، فهذا محرم قطعاً وهو من الشرك؛ لأنه تعلق بغير الله سبحانه وأسمائه وصفاته وآياته، وفي الحديث: **(من تَعَلَّقَ شيئًا وُكِلَ إليه)**[2].

أي وكله الله إلى ذلك الشيء الذي تعلقه، فمن تعلق بالله والتجأ إليه وفوَّض أمره إليه كفاه وقرَّب إليه كل بعيد ويسَّر له كل عسير، ومن تعلق بغيره من المخلوقين والتمائم والأدوية والقبور وَكَلَهُ الله إلى ذلك الذي لا يغني عنه شيئاً ولا يملك له ضراً ولا نفعاً فخسر عقيدته وانقطعت صلته بربه وخذله الله. . . .

الواجب على المسلم:

الواجب على المسلم المحافظة على عقيدته مما يفسدها أو يخل بها فلا يتعاطى ما لا يجوز من الأدوية ولا يذهب إلى المخرفين والمشعوذين ليعالج عندهم من الأمراض؛ لأنهم يمرضون قلبه وعقيدته، ومن توكل على الله كفاه.

وبعض الناس يعلق هذه الأشياء على نفسه وليس فيه مرض حسي وإنما فيه مرض وهمي وهو الخوف من العين والحسد، أو يعلقها على سيارته أو دابته أو باب بيته أو دكانه وهذا كله من ضعف العقيدة وضعف توكله على الله، وضعف العقيدة هو المرض الحقيقي الذي يجب علاجه بمعرفة التوحيد والعقيدة الصحيحة.

---

(١) فتح المجيد ص١٣٦ .

(٢) رواه أحمد ج٤ ص ٣١١، ٣١٠ والترمذي ٢٠٧٢ والحاكم ج٤ ص٢١٦ .





تنبيه مهم :

الرقى غير الشرعية والتمائم إن اعتقد متخذها أنها تؤثر بذاتها أو اشتملت على تقرب إلى الشياطين فهي شرك أكبر، وإن اعتقد أنها سبب غير مؤثر بذاته، والتأثير بتقدير الله فهي شرك أصغر.

الأسئلة

س١: عرف الرقى، وما أنواعها مع ذكر الأدلة؟

س٢: ما شروط الرقية الشرعية؟

س٣: عرف التميمة.

س٤: ما حكم تعليق التمائم التي تكتب من القرآن أو من أسماء الله وصفاته مع الترجيح والاستدلال على ذلك؟

س٥: ما حكم تعليق التمائم التي من غير القرآن كالخرز والعظام ونحو ذلك مع الاستدلال؟

س٦: متى تكون الرقى غير الشرعية شركاً أكبر ومتى تكون شركاً أصغر؟

س٧: ما حكم الرقية بغير اللسان العربي أو بما لا يعرف معناه؟ ولماذا؟

الفصل الرابع: تقديم القرابين والنذور والهدايا للمزارات[1] والقبور وتعظيمها

لقد سدَّ النبي ﷺ كل الطرق المفضية إلى الشرك وحذَّر منها غاية التحذير، ومن ذلك مسألة القبور فقد وضع الضوابط الواقية من عبادتها والغلو في أصحابها ومن ذلك:

١- أنه قد حذَّر ﷺ من الغلو في الأولياء والصالحين، لأن ذلك يؤدي إلى عبادتهم، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(يا أيها الناس إياكم والغلوَّ في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلوُّ في الدين)** [2]، وقال: **(لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله)** [3].

٢- حذَّر ﷺ من البناء على القبور، كما روى أبو الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: **(ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع تمثالاً إلاَّ طمسته، ولا قبراً مُشْرِفاً إلاَّ سويته)** وفي رواية **(ولا صورة إلاَّ طمستها)** [4]. ونهى عن تجصيصها والبناء عليها، فعن جابر رضي الله عنه قال: **(نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه)** [5].

٣- حذّر ﷺ من الصلاة عند القبور، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (لما نُزِل برسول الله ﷺ طَفِقَ يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال وهو كذلك: **(لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)** يُحَذِّرُ ما صنعوا، ولولا ذلك أُبْرِزَ قَبْرُهُ غير أنه خشي أن يُتخذ مسجداً) [6].

---

(١) المزارات: جمع مزار وهو ما يُزار من القبور والآثار والأمكنة بقصد التعبد. القرابين: جمع قربان وهو ما يتقرَّب به من النذور والذبائح والأطعمة. النذور: جمع نذر وهو ما يلزم المرء به نفسه من القربات.

(٢) رواه الإمام أحمد المسند ج١ ص٢١٥ والنسائي كتاب مناسك الحج باب التقاط الحصى حديث ٣٠٥٧ وابن ماجه كتاب المناسك باب قدر حصى الرمي حديث ٣٠٢٩ وهذا لفظه.

(٣) رواه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها﴾ الآية ج١ ص١٤٢.

(٤) رواه مسلم كتاب الجنائز باب الأمر بتسوية القبر حديث رقم ٩٦٩ ص٦٦٦.

(٥) رواه مسلم كتاب الجنائز باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه حديث رقم ٩٧٠ ص٦٦٧.

(٦) رواه البخاري كتاب الجنائز باب ما جاء في قبر النبي ﷺ ج٢ ص١٠٦ ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور حديث رقم ٥٢٩ ص٣٧٦.

وعن جندب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك)** [1]، واتخاذها مساجد معناه الصلاة عندها وإن لم يبن مسجد عليها، فكل موضع قُصِد للصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً، كما قال رسول الله ﷺ: **(جُعلت لي الأرضُ مسجداً وطهوراً)** [2] فإذا بني عليها مسجدٌ فالأمر أشد.



مخالفة الناس سنة النبي ﷺ في القبر:

وقد خالف أكثر الناس هذه النواهي وارتكبوا ما حذر منه النبي ﷺ فوقعوا بسبب ذلك في الشرك ومن صور هذه المخالفة:

١- نهى رسول الله ﷺ عن الصلاة إلى القبور وهؤلاء يصلون عندها.

٢- نهى عن اتخاذها مساجد وهؤلاء يبنون عليها المساجد ويسمونها مشاهد مضاهاة لبيوت الله.

٣- نهى عن أن تُتخذ عيداً وهؤلاء يتخذونها أعياداً ومناسك، ويجتمعون لها كاجتماعهم للعيد أو أكثر.

٤- أمر بتسويتها - كما روى مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدي، قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: **(ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع صورة إلاّ طمستها ولا قبراً مشرفاً إلاّ سويته)** [3].

وهؤلاء يبالغون في مخالفة هذين الحديثين ويرفعونها عن الأرض كالبيت ويعقدون عليها القباب.

٥- أن الحكمة التي لأجلها شرع النبي ﷺ زيارة القبور هي تذكر الآخرة والإحسان إلى المزور بالدعاء له والترحم عليه والاستغفار وسؤال العافية له. فيكون الزائر محسناً إلى نفسه وإلى الميت، فَقَلَبَ هؤلاء المشركون الأمر وعكسوا الدين وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت ودعاءه والدعاء به وسؤال حوائجهم واستنزال البركات منه ونصره لهم على الأعداء ونحو ذلك، فصاروا مسيئين إلى أنفسهم وإلى الميت ولو لم يكن إلاّ بحرمانه بركة ما شرعه تعالى من الدعاء له والترحم عليه والاستغفار له.

---

(١) رواه مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد حديث رقم ٥٣٢ ص٣٧٧-٣٧٨.

(٢) رواه البخاري كتاب التيمم أول الكتاب ج١ ص٨٦ ومسلم كتاب المساجد الباب الأول حديث رقم ٥٢١ ص٣٧٧.

(٣) أي: بعدم رفعه، رواه مسلم في صحيحه كتاب الجنائز باب الأمر بتسوية القبر حديث رقم ٩٦٩ ص٦٦٧.

فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ما شرعه رسول الله ﷺ وقصده من النهي عمّا تقدّم ذكره في القبور، وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوه، ولا ريب أن في ذلك من المفاسد ما يعجز العبد عن حصره [1].

حُكم تقديم النذور والقرابين للمزارات:

تقديم النذور والقرابين للمزارات شرك أكبر، سببه مخالفة هدي النبي ﷺ في الحالة التي يجب أن تكون عليها القبور، من عدم البناء عليها، وإقامة المساجد عليها، لأنها لما بنيت عليها القباب وأقيمت حولها المساجد والمزارات ظنّ الجهال أن المدفونين فيها ينفعون ويضرون، وأنهم يغيثون من استغاث بهم ويقضون حوائج من التجأ إليهم فقدموا لهم النذور والقرابين، حتى صارت أوثاناً تُعبد من دون الله، وقد قال النبي ﷺ: **(اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد)** [2] وما دعا بهذا الدعاء إلاّ لأنه سيحصل شيء من ذلك في غير قبره ﷺ، وقد حصل في كثير من بلاد الإسلام، أما قبره فقد حماه الله ببركة دعائه ﷺ، وإن كان قد يحصل في مسجده شيء من المخالفات من بعض الجهال أو الخرافيين، لكنهم لا يقدرون على الوصول إلى قبره ﷺ، لأن قبره في البيت وليس في المسجد وهو محوط بالجدران.

---

(١) انظر إغاثة اللهفان (١/ ٢١٤-٢١٥-٢١٧).

(٢) رواه أحمد ج٢ ص٢٤٦ ورواه مالك مرسلاً كتاب قصر الصلاة في السفر باب جامع الصلاة حديث ٨٥ ج١ ص١٧٢ .

الأسئلة

س١: ما حكم الوسائل التي تُفضي إلى الشرك؟ وبيّن كيف سدها النبي ﷺ مستدلاً لما تقول.

س٢: بيّن حُكم ما يأتي مع التعليل:

(أ) تجصيص القبور والبناء عليها.

(ب) الصلاة عند القبور.

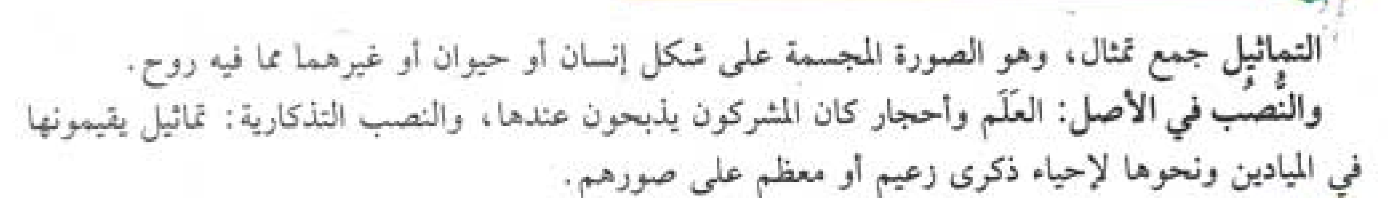
(ج) إيقاد السرج وإيقاف الوقوف على إيقاد القناديل على القبور.

(د) الدعاء للميت والترحم عليه وسؤال العافية له.

س٣: ما الذي يُستفاد من قول الرسول ﷺ: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد)؟ وهل عُبِدَ قبره ﷺ؟ ولماذا؟

الفصل الخامس تعظيم التماثيل والنُّصُب التذكارية

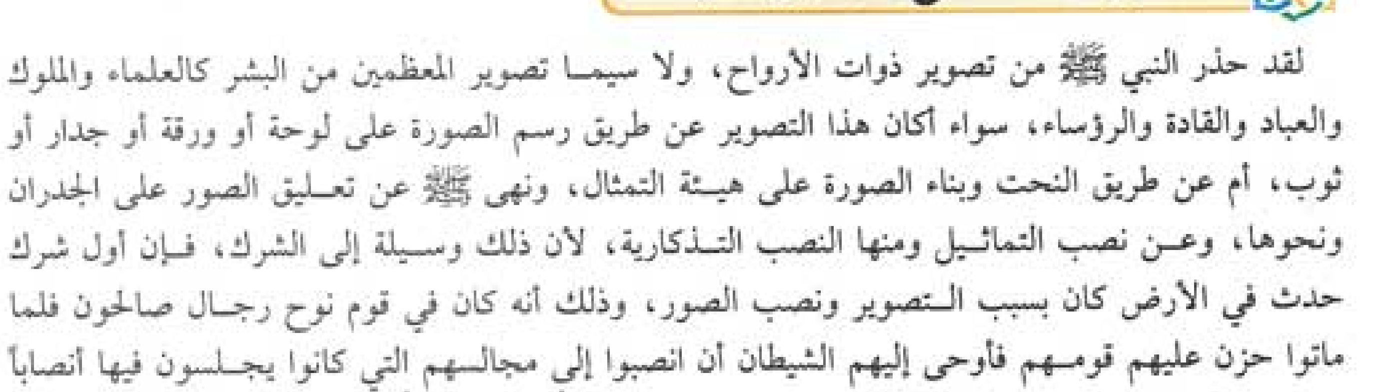
تعريفها:



التماثِيل جمع تمثال، وهو الصورة المجسمة على شكل إنسان أو حيوان أو غيرهما مما فيه روح.

والنُّصب في الأصل: العَلَم وأحجار كان المشركون يذبحون عندها، والنصب التذكارية: تماثيل يقيمونها في الميادين ونحوها لإحياء ذكرى زعيم أو معظم على صورهم.

تصوير ذوات الأرواح وسيلة إلى الشرك:



لقد حذر النبي ﷺ من تصوير ذوات الأرواح، ولا سيما تصوير المعظمين من البشر كالعلماء والملوك والعباد والقادة والرؤساء، سواء أكان هذا التصوير عن طريق رسم الصورة على لوحة أو ورقة أو جدار أو ثوب، أم عن طريق النحت وبناء الصورة على هيئة التمثال، ونهى ﷺ عن تعليق الصور على الجدران ونحوها، وعن نصب التماثيل ومنها النصب التذكارية، لأن ذلك وسيلة إلى الشرك، فإن أول شرك حدث في الأرض كان بسبب التصوير ونصب الصور، وذلك أنه كان في قوم نوح رجال صالحون فلما ماتوا حزن عليهم قومهم فأوحى إليهم الشيطان أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد، حتى إذ هلك أولئك ونُسِي العلم عُبِدَت[1] ولما بعث الله نبيه نوحاً عليه السلام ينهى عن هذا الشرك الذي حصل بسبب تلك الصور التي نصبت امتنع قومه من قبول دعوته وأصروا على عبادة تلك الصور المنصوبة التي تحولت إلى أوثان:

﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾[2].

وهذه أسماء الرجال الذين صورت تلك الصور على أشكالهم إحياء لذكرياتهم وتعظيماً لهم.

فانظر إلى ما آل إليه الأمر بسبب هذه الأنصاب التذكارية من الشرك بالله ومعاندة رسله، مما سبب إهلاكهم بالطوفان ومقتهم عند الله وعند خلقه، مما يدلك على خطورة التصوير ونصب الصور، ولهذا لعن النبي ﷺ

---

(١) انظر صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة نوح ج ٦ ص ٧٣ ح ٤٩٢٠.

(٢) الآية (٢٣) من سورة نوح.

المصورين[1]، وأخبر أنهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة[2]، وأمر بطمس الصور، وأخبر أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة[3]، كل ذلك من أجل مفاسدها وشدة مخاطرها على الأمة في عقيدتها، فإن أول شرك حدث في الأرض كان بسبب نصب الصور، وسواء أكانت هذه النصب للصورة والتماثيل في المجالس أم في الميادين أم في الحدائق، فإنه محرم مشرعاً؛ لأنه وسيلة إلى الشرك وفساد العقيدة، وبهذا تعلم أن تعظيم الصور المجسمة والمنحوتة على هيئة الصنم والتمثال مما فيه مضاهاة خلق الله عز وجل أمر محرم شرعاً، وأما الصورة التي لا تعظم والصور الفوتوغرافية المعروفة والمستعملة في إثبات الشخصية كبطاقة الأحوال وجواز السفر وما في حكمها مما تدعو إليه الحاجة أو تمليه المصلحة فلا بأس بها إن شاء الله.



س١: ما المراد بالتماثيل والنصب التذكارية؟

س٢: متى حصل أول شرك في الأرض، وما سببه، وكيف حصل ذلك؟

س٣: بين حكم ما يأتي مع التعليل.

(أ) الرسم عن طريق النحت وبناء الصور على هيئة تماثيل.

(ب) نصب التماثيل والنصب التذكارية.

---

(١) عن أبي جحيفة -رضي الله عنه- قال: (لعن النبي ﷺ الواشمة والمستوشمة وآكل الربا وموكله ونهى عن ثمن الكلب وكسب البغي ولعن المصورين) صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب مهر البغي والنكاح الفاسد ج٦ ص١٨٨.

(٢) عن عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون» متفق عليه البخاري، كتاب اللباس، باب عذاب المصورين يوم القيامة ج٧ ص٦٥ ومسلم، كتاب اللباس، باب تحريم تصوير صورة الحيوان، وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه حديث رقم ٢١٠٩ ص١٦٧٠.

(٣) عن القاسم بن محمد -رحمه الله- أن عائشة-رضي الله عنها- أخبرته أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخله فعرفت في وجهه الكراهة فقلت: يا رسول الله أتوب إلى الله وإلى رسوله ﷺ ماذا أذنبت؟ فقال رسول الله ﷺ: (ما بال هذه النمرقة؟) قلت: اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدها، فقال رسول الله ﷺ: (إن أصحاب هذه الصور يوم القيامة يعذبون فيقال لهم أحيوا ما خلقتم)، وقال: (إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة). متفق عليه، البخاري، كتاب البيوع، باب التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء ج٣ ص١٧ ومسلم، كتاب اللباس، باب تحريم تصوير صورة الحيوان، وتحريم اتخاذ ما فيه صورة ممتهنة بالفرش ونحوه حديث رقم ٢١٠٧ ص ١٦٦٦ واللفظ للبخاري.

حكم الاستهزاء بالدين:

يجب على المسلم تعظيم كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ واحترام علماء المسلمين قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[1] كما ينبغي أن يعرف حكم من استهزأ بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ﷺ ليكون المسلم على حذر من ذلك.

والاستهزاء بالدين ردة عن الإسلام وخروج عن الدين بالكلية، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾[2] فهذه الآية: تدل على أن الاستهزاء بالله كفر، وأن الاستهزاء بالرسول كفر، وأن الاستهزاء بآيات الله كفر فمن استهزأ بواحد من هذه الأمور فهو مستهزئ بجميعها، والذي حصل من هؤلاء المنافقين أنهم استهزؤوا بالرسول وصحابته فنزلت الآية، فالاستهزاء بهذه الأمور متلازم.

من أسباب الاستهزاء:

الاستخفاف بتوحيد الله تعالى وتعظيم دعاء غيره من الأموات، فمن الناس من إذا أمروا بالتوحيد ونهوا عن الشرك استخفوا بذلك، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ۝٤١ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾[3] فاستهزؤوا بالرسول ﷺ لما نهاهم عن الشرك، وما زال المشركون يعيبون الأنبياء ويصفونهم بالسفاهة والضلال والجنون إذا دعوهم إلى التوحيد، لما في أنفسهم من تعظيم الشرك، وهكذا تجد من فيه شبه منهم إذا رأى من يدعو إلى التوحيد استهزأ به لما عنده من الشرك.

فهؤلاء الذين اتخذوا القبور أوثاناً تجدهم يستهزؤون بما هو من توحيد الله وعبادته ويعظمون ما اتخذوه من دون الله شفعاء ويحلف أحدهم اليمين الغموس كاذباً ولا يجترئ أن يحلف بشيخه كاذباً، وكثير من طوائف المبتدعة يرى أحدهم أن استغاثته بالشيخ إما عند قبره أو غير قبره أنفع له من أن يدعو الله في

---

(١) الآية (٣٢) من سورة الحج.

(٢) الآيتان (٦٥-٦٦) من سورة التوبة.

(٣) الآيتان (٤٠-٤١) من سورة الفرقان.

المسجد عند السَّحَر، ويستهزئ بمن يعدل عن طريقته إلى التوحيد،وكثير منهم يخربون المساجد ويعمرون المشاهد[1] فهل هذا إلا من استخفافهم بالله وبآياته ورسله وتعظيمهم للشرك[2]، وهذا كثير وقوعه في القبوريين اليوم.

من صور الاستهزاء:

ما ورد من قول من نزلت فيهم الآية السابقة ـ من سورة التوبة ـ: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أَرْغَبَ بطونًا، ولا أكذب ألسُنًا، ولا أجْبَنَ عند اللقاء. أو نحو ذلك من أقوال المستهزئين كقول بعضهم: إن الإسلام إنما يصلح للقرون الوسطى، وأنه تأخر ورجعية، وأن فيه قسوة ووحشية في عقوبات الحدود والتعازير، وأنه ظلم المرأة حقوقها، حيث أباح الطلاق وتعدد الزوجات وقولهم: الحكم بالقوانين الوضعية أحسن للناس من الحكم بالإسلام.

ومن الاستهزاء: السخرية بمن يدعو إلى التوحيد أو ينكر الشرك وعبادة القبور أو يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر، ومنه أيضاً الاستهزاء بالسنة الظاهرة كإعفاء اللحى وترك الإسبال، ومثله السخرية والاستهزاء بالحجاب وسواءً أكان ذلك على وجه الجد والقصد أم الضحك واللعب أم كان تصريحاً واضحاً أو غمزاً أو همزاً أو لمزاً فكله داخل في الاستهزاء المنهي عنه وداخل في الوعيد الشديد.

وقول الآخر إذا رأى الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر: جاءكم أهل الدين من باب السخرية.



الأسئلة

س١: ما حكم الاستهزاء بالدين مع الاستدلال على ذلك؟

س٢: ما سبب الاستهزاء بالدين مع ذكر الدليل؟

س٣: اذكر خمس صور من صور الاستهزاء بالدين.

---

(١) المشاهد: القبور المبنية.

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/٤٨-٤٩)

الفصل السابع ادعاء حق التشريع والتحليل والتحريم

التشريع حق لله تعالى:

تشريع الأحكام التي يسير عليها العباد في عباداتهم ومعاملاتهم وسائر شؤونهم والتي تفصل النزاع بينهم وتنهي الخصومات حق لله تعالى رب الناس وخالق الخلق، قال تعالى:

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾(1).

وهو الذي يعلم ما يصلح عباده فيشرعه لهم، فبحكم ربوبيته لهم يشرع لهم، وبحكم عبوديتهم له يتقبلون أحكامه، والمصلحة في ذلك عائدة إليهم، قال تعالى:

﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾(2).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي ﴾(3).

فالتحليل والتحريم حق لله تعالى لا يجوز لأحد أن يشاركه فيه. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾(4).

فجعل سبحانه وتعالى طاعة الشياطين وأوليائهم في تحليل ما حرم الله شركاً به سبحانه.

فيجب على المسلم أن يحذر من التساهل في إطلاق التحليل والتحريم بغير علم ودليل، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾(5).

---

(1) الآية (54) من سورة الأعراف.
(2) الآية (59) من سورة النساء.
(3) الآية (10) من سورة الشورى
(4) الآية (121) من سورة الأنعام.
(5) الآية (116) من سورة النحل.

وقال تعالى في التحذير من القول بلا علم في دين الله ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1].

واستنكر سبحانه أن يتخذ العباد مشرعاً غيره فقال: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾[2].

حكم قبول تشريع غير الله:

فمن قبل تشريعاً غير تشريع الله عالماً بذلك مختاراً له غير مكره أو مضطر إليه فقد أشرك بالله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[3]. ولا يجوز لمسلم أن يطيع أحداً في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله؛ لقوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[4]. ولما سمع عدي بن حاتم رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية، قال عديٌّ: إنهم لم يعبدوهم، فقال رسول الله ﷺ: «بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم»[5].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً -حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله- يكونون على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل فيعتقدون تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله اتباعاً لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركاً -وإن لم يكونوا يُصَلُّون لهم ويسجدون لهم- فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين مشركا حيث اعتقد ما قاله ذلك، دون ما قال الله ورسوله.

والثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحرام وتحليل الحلال ثابتاً، لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصٍ، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنما الطاعة في المعروف**». وقال ﷺ: «**على المسلم السمع والطاعة فيما أحب و كره ما لم يؤمر بمعصية**».

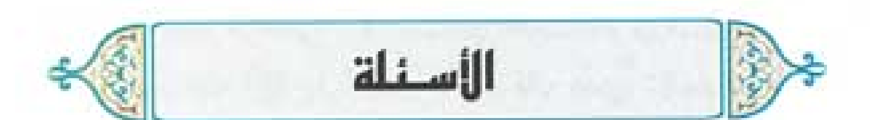
---

(1) الآية (٣٣) من سورة الأعراف.
(2) الآية (٢١) من سورة الشورى.
(3) الآية (٥٠) من سورة المائدة.
(4) الآية (٣١) من سورة التوبة.
(5) رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة، حديث رقم (٣٠٩٥) وقال: حسن غريب والإمام أحمد وحسَّنه الألباني.

وقال ﷺ: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**». وقال ﷺ: «**من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه**»[1].

وأما الأنظمة التي يسنها ولاة الأمر ولم يكن فيها مخالفة لأوامر الله ورسوله مما يقصد بها تنظيم أمور الرعية بما يجلب لهم المصالح أو يدفع عنهم المفاسد ويحفظ حقوقهم، فليس بمنهي عنه شرعاً، ولا يدخل في تشريع ما لم يأذن به الله، ويلزم الرعية السمع والطاعة فيه وتُعَدُّ مخالفته معصية.

وقد ذكر ابن القيم أن السياسة الشرعية هي كل فعل يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه الرسول ﷺ ولا نزل به وحي[2].



الأسئلة

س١: من الذي يستحق أن يشرع الأحكام وما الدليل على ذلك؟

س٢: أكمل ما يأتي:

(أ) جعل سبحانه وتعالى طاعة الشياطين وأوليائهم في تحليل ما حرم.....................

(ب) من قبل تشريعاً غير تشريع الله عالماً بذلك غير جاهل مختاراً له غير مكره أو مضطر إليه........

(جـ) أن ما لم يشرعه الله ولا رسوله في السياسة والحكم بين الناس مما يخالف ما شرعه الله ورسوله فهو حكم.............

(د) من أطاع مخلوقاً في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فلا يخلو من وجهين:

....

....

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٧/ ٧٠-٧١.

(٢) «الطرق الحكمية في السياسة الشرعية» (الصفحة ١٣).

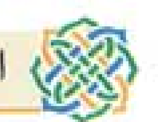
الفصل الثامن الحكم بغير ما أنزل الله

من مقتضى الإيمان بالله تعالى وعبادته الخضوع لحكمه والرضا بشرعه والرجوع إلى كتابه وسنة رسوله ﷺ عند الاختلاف في الأقوال وفي الأصول وفي الخصومات وفي الدماء والأموال وسائر الحقوق، فإن الله هو الحكم وإليه الحُكْم. فيجب على الحكام أن يحكموا بما أنزل الله، قال تعالى في حق الولاة:

﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾[1].

ويجب على الرعية أن يتحاكموا إلى ما أنزل الله في كتابه وسنة رسوله ﷺ قال تعالى:

﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾[2].

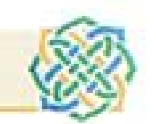


التحاكم إلى غير ما أنزل الله ينافي الإيمان:

قال تعالى: ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا ﴾[3].

إلى قوله تعالى: ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾[4].

(١) الآية: (٥٨) من سورة النساء.
(٢) الآية (٥٩) من سورة النساء.
(٣) الآية (٦٠) من سورة النساء.
(٤) الآية (٦٥) من سورة النساء.

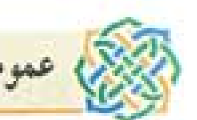


المتحاكم إلى غير شرع الله له ثلاث حالات:

الأولى: من تحاكم إلى غير شرع الله رغبة فيه ويرى أن ذلك سائغ وهو مختار غير مكره فهذا الفعل كفر لا يجتمع مع الإيمان.

الثانية: أن يعتقد وجوب التحاكم إلى شرع الله -عز وجل- لكنه تحاكم إلى غيره لهوى أو مصانعة لأحد أو لمصلحة يطلبها مع إقراره أنه ارتكب معصية يستحق معها العقوبة، فهذا ينافي الإيمان الواجب ولكنه لا ينفي الإيمان بالكلية، أو يعني زوال الإيمان بالكلية. قال شيخ الإسلام ابن تيمية عند قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ الآية: (فمن لم يلتزم تحكيم الله ورسوله فيما شجر بينهم فقد أقسم الله بنفسه أنه لا يؤمن، وأما من كان ملتزماً بحكم الله ورسوله باطناً وظاهراً ولكن عصى واتبع هواه فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة)[1].

الثالثة: من تحاكم إلى غير شرع الله مكرهاً أو مضطراً أو جاهلاً فلا يدخل في أحكام الوعيد المتعلقة بمن تحاكم إلى غير شرع الله[2]. لقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾.



عموم التحاكم بما أنزل الله في جميع مواطن النزاع:

ولابد من الحكم بما أنزل الله والتحاكم إليه في جميع موارد النزاع في الأقوال الاجتهادية بين العلماء، وفي المرافعات والخصومات في سائر الحقوق لا في الأحوال الشخصية فقط كما في بعض الدول التي تنتسب إلى الإسلام، ولا يقبل من الأحكام إلا ما دل عليه الكتاب والسنة من غير تعصب لمذهب ولا تحيز لإمام.

---

(١) منهاج السنة النبوية (٥/ ١٣١).

(٢) سئل الشيخ عبدالرزاق عفيفي رحمه الله: ما حكم التحاكم إلى المحاكم التي تحكم بالقوانين الوضعية؟.
فأجاب: بقدر الإمكان لا يتحاكم إليها، وأما إذا كان لا يمكن أن يستخلص حقه إلا عن طريقها فلا حرج عليه.
(فتاوى ورسائل الشيخ عبدالرزاق عفيفي، الصفحة ٣٦٥ السؤال رقم ٥٠).

حكم من حكم بغير ما أنزل الله:

الحكم بغير ما أنزل الله نوعان:

النوع الأول: يكون الحكم بغير ما أنـزل الله كفراً مخرجاً من الملة إن اعتـقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه أو استهان بحكم الله واعتقد أن غيره من القوانين والنظم الوضعية أحسن منه وأنه لا يصلح لهذا الزمان أو أن تطبيق بعض الحدود فيه قسوة ووحشية.

النوع الثاني: يكون كفراً غير مخرج من الملة إذا اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلمه وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا عاصٍ ويسمى كافراً كفراً أصغر.

كما قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في تفسير الآية ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[1]. قال: إنه ليس بالكفر الذي تذهبـون إليه، إنه ليس كفراً ينقل عن المِلَّة هو كفـر دون كفر[2]. وقال عطاء كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق. وقال طاووس إنه ليس بكفر ينقل عن الملة[3].

بخلاف ما لو جهل حكم الله فيها مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأه فهذا مخطئ وله أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور[4].

سُئل الشيخ ابن باز-رحمه الله- كـما في رسالة «حوار حـول مسائل التكفير» (ص/ ٢٠-٢٢) هذا السؤال: هل تبديل القوانين يُعدُّ كفراً مخرجاً من الملة؟

فكان جوابه رحمه الله: «....... إذا استـباح الحكم بقانون غير الشريعة يكون كافراً كُـفْراً أكبر، أما إذا فعل ذلك لأسباب خـاصة عاصياً لله من أجل الرشوة، أو من أجل إرضـاء فلان أو فلان، ويعلم أنه محرم يكون كفراً دون كفر».

كما قال ابن عبـاس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ ﴿ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾. ﴿ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ قال: ليس كمن كفر بالله، ولكن كفر دون كفر.

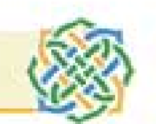
---

(١) الآية (٤٤) من سورة المائدة.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين.

(٣) ذكرهما ابن كثير في تفسيره ٣ / ١٢٠.

(٤) شرح الطحاوية ص ٣٦٣ ـ ٣٦٤.



الحذر من الحكم بغير علم في دين الله:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فإن الحاكم إذا كان ديِّناً لكنه حكم بغير علم كان من أهل النار، وإن كان عالماً لكنه حكم بخلاف الحق الذي يعلمه كان من أهل النار، وإذا حكم بلا عدل ولا علم أولى أن يكون من أهل النار[1].



الأسئلة

س١: هل يجتمع التحاكم إلى غير ما أنزل الله مع الإيمان مع الاستدلال على ذلك؟

س٢: هل يكفي الحكم في بعض موارد النزاع أو القضايا بما أنزل الله كالأحوال الشخصية مع ترك جوانب أخرى يتحاكم فيها إلى غير شرع الله؟

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٥ / ٣٨٨ .

الانتماء إلى المذاهب الإلحادية مع الاعتقاد بأصولها المخالفة للدين كالشيوعية والعلمانية وغيرهما ردة عن دين الإسلام، إذا كان المنتمي يعلم بمخالفة أصولها وقواعدها لدين الله وضررها على الإسلام والمسلمين.

وقد أمر الله بالانتماء إلى المؤمنين: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[1].

وأما هذه المذاهب الإلحادية فمذاهب فاسدة؛ لأنها مؤسسة على الباطل، فالعلمانية تفصل الدين عن الحكم. والشيوعية تنكر وجود الخالق سبحانه وتعالى وتحارب الأديان السماوية.

أما انتماء المسلم لوطنه وقومه وحُبُّه لهم وولاؤه ونصيحته لهم واجتهاده فيما ينفعهم ويحقق اجتماع كلمتهم فلا يتنافى مع حبه لإخوانه المسلمين في أنحاء الأرض ولا يهدر حقوق الأخوة الإسلامية بينه وبين المسلمين قاطبة، وفي هذا رد عملي على أولئك الذين يسعون إلى تفريق المسلمين إلى جماعات وأحزاب لا يجوز للمسلم أن يتعصب لها، لأن الإسلام يرفض العصبيات والنعرات الجاهلية يقول تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[2].

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنه قال (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية ومن قاتل تحت راية عُمِّيَّة يغضب لعَصَبَة أو يدعو إلى عَصَبَة أو ينصر عَصَبَةً فقُتِل فَقِتْلَةٌ جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يَتَحَاشَ عن مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه)[3] وعنه أيضاً قال: قال ﷺ: **(قد أذهب الله عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تَقِيٌّ وفاجر شَقِيٌّ، والناس بنو آدم وآدم من تراب)**[4].

أثر الحزبيات في تفريق المسلمين:

الأصل أن المسلمين أمة واحدة كما أخبر الله عز وجل ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾[5].

---

(١) الآية (١١٩) من سورة التوبة.

(٢) الآية (١٣) من سورة الحجرات.

(٣) رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة حديث رقم ١٨٤٨ ص ١٤٧٦-١٤٧٧.

(٤) رواه الترمذي، كتاب المناقب، باب فضل الشام واليمن، وأبو داود، كتاب الأدب، باب في التفاخر بالأحساب واللفظ للترمذي.

(٥) الآية (٩٢) من سورة الأنبياء.

فلا يجوز أن يتفرق المسلمون تحت شعارات حزبية أو عصبية أو مادية أوغيرها -ولو تَسَمَّتْ بالإسلام- فيعادي بعضهم بعضاً ولا يوالي أحدُهم ولا يُحِبُّ إلا من كان منتمياً إلى حزبه أو جماعته، فتراه يستبيح غيبة مخالفه وسوء الظن به، ولا شك أن ذلك مما نهى الله عنه في قوله عز وجل: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1]. وقوله ﴿ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[2]. فالمسلمون يجمعهم الصراط المستقيم، وعماده الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[3].

وحسب المسلمين من آثار الحزبية والتفرق إلى جماعات وأحزاب؛ أن تذهب ريحهم ويطمع فيهم عدوهم وتضعف شوكتهم وتتفرق صفوفهم وتتبدد طاقاتهم وتختلف كلمتهم ويضعف ولاء بعضهم لبعض وغيرها من المفاسد التي هي من أهم أسباب ما آل إليه حال المسلمين اليوم.

وأصبحت شعوبه تندفع اندفاعاً غريباً إلى إحياء هذه العصبيات التي أماتها الإسلام والتغني بها وإحياء شعائرها والافتخار بعهدها الذي تقدم على الإسلام وهو الذي يلح الإسلام على تسميته بالجاهلية، وقد منَّ الله على المسلمين بالخروج عنها وحثهم على شكر هذه النعمة.

والطبيعي من المؤمن أن لا يذكر جاهلية تقادم عهدها أو قارب إلا بمقت وكراهية وامتعاض وإقشعرار، وهل يذكر السجين المعذب الذي يطلق سراحه أيام اعتقاله وتعذيبه وامتهانه إلا وعرته قُشَعْرِيرة، وهل يذكر البريء من علة شديدة طويلة أشرف منها على الموت أيام سقمه إلا وانكسف باله وانْتُقِع لونه[4]- والواجب أن يعلم أن هذه الحزبيات عذاب بعثه الله على من أعرض عن شرعه وتنكر لدينه كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾[5].

والتعصب للحزبيات يسبب رفض الحق الذي مع الآخرين كحال اليهود الذي قال الله فيهم:
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾[6].

---

(١) الآية (١٠٣) من سورة آل عمران.
(٢) الآية (٣١-٣٢) من سورة الروم.
(٣) الآية (١٥٣) من سورة الأنعام.
(٤) من رسالة (ردة ولا أبا بكر لها) لأبي الحسن الندوي
(٥) الآية (٦٥) من سورة الأنعام.
(٦) الآية (٩١) من سورة البقرة.

وكحال أهل الجاهلية الذي رفضوا الحق الذي جاءهم به الرسول ﷺ تعصباً لما عليه آباؤهم.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾[1].

ويريد أصحاب هذه الحزبيات أن يجعلوها بديلة عن الإسلام الذي منَّ الله به على البشرية.

الأسئلة

س١: ما حكم انتماء من يدعي الإسلام إلى المذاهب الإلحادية مع الدليل على ذلك؟

س٢: اكتب نبذة قصيرة عن كل من:

١- الشيوعية.

٢- العلمانية.

٣- الرأسمالية.

س٣: ما حكم الانتماء للأحزاب الجاهلية والقوميات العنصرية مع الدليل على ذلك؟

س٤: ما أثر الحزبيات في تفريق المسلمين؟

---

(١) الآية (١٧٠) من سورة البقرة.

النظرة المادية للحياة

هناك نظرتان للحياة، نظرة مادية للحياة ونظرة صحيحة، ولكل من النظرتين آثارها.

(أ) فالنظرة المادية للحياة معناها:

أن يكون تفكير الإنسان مقصوراً في تحصيل ملذاته العاجلة ويكون عمله محصوراً في نطاق ذلك، فلا يتجاوز تفكيره ما وراء ذلك من العواقب ولا يعمل له ولا يهتم بشأنه ولا يعلم أن الله جعل هذه الحياة الدنيا مزرعة للآخرة، فجعل الدنيا دار عمل وجعل الآخرة دار جزاء، فمن استغل دنياه بالعمل الصالح ربح الدارين ومن ضيع دنياه ضاعت آخرته: ﴿ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾[1].

فالله لم يخلق هذه الدنيا عبثاً بل خلقها لحكمة عظيمة، قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[3]. أوجد سبحانه في هذه الحياة من المتع العاجلة والزينة الظاهرة من الأموال والأولاد والجاه والسلطان وسائر المستلذات ما لا يعلمه إلا الله.

فمن الناس - وهم الأكثر- من قصر نظره على ظاهرها ومفاتنها ومتع نفسه بها ولم يتأمل في سرها، فانشغل بتحصيلها وجمعها والتمتع بها عن العمل لما بعدها، بل أنكر أن يكون هناك حياة غيرها كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾[4].

الوعيد لأصحاب النظرة المادية:

وقد توعد الله تعالى مَنْ هذه نظرته للحياة فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝٨ ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٦ ﴾[6].

---

(1) الآية ١١ من سورة الحج.
(2) الآية ٢ من سورة الملك.
(3) الآية (٧) من سورة الكهف.
(4) الآية (٢٩) من سورة الأنعام.
(5) الآيتان ٨،٧ من سورة يونس.
(6) الآيتان ١٥-١٦ من سورة هود.

وهذا الوعيد يشمل أصحاب هذه النظرة سواء أكانوا من الذين يعملون عمل الآخرة يريدون به الحياة الدنيا كالمنافقين والمرائين بأعمالهم، أم كانوا من الكفار الذي لا يؤمنون ببعث ولا حساب كحال أهل الجاهلية والمذاهب الهدامة من رأسمالية وشيوعية وعلمانية إلحادية، وأولئك لم يعرفوا قدر الحياة ولا تعدو نظرتهم لها أن تكون كنظرة البهائم. بل هي أضل سبيلاً، لأنهم ألغوا عقولهم وسخّروا طاقاتهم وضيعوا أوقاتهم فيما لا يبقى لهم ولا يبقون له، ولم يعملوا لمصيرهم الذي ينتظرهم ولا بد لهم منه، والبهائم ليس لها مصير ينتظرها وليس لها عقول تفكر بها بخلاف أولئك، ولهذا يقول تعالى فيهم:

﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[1].

العلم الحقيقي:

وقد وصف الله أهل النظرة المادية بعدم العلم قال تعالى:

﴿ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾[2].

فهم وإن كانوا أهل خبرة في المخترعات والصناعات فهم جهال لا يستحقون أن يوصفوا بالعلم؛ لأن علمهم لم يتجاوز ظاهر الحياة الدنيا، وهذا علم ناقص لا يستحق أصحابه أن يطلق عليهم هذا الاسم الشريف فيقال العلماء، وإنما يطلق هذا على أهل معرفة الله وخشيته، كما قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[3].

ومن النظرة المادية للحياة الدنيا ما ذكره الله في قصة قارون وما آتاه الله من الكنوز:

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[4].

فتمنوا مثله وغبطوه ووصفوه بالحظ العظيم بناء على نظرتهم المادية، وهذا كما هو الحال الآن في الدول الكافرة وما عندهم من تقدم صناعي واقتصادي فإن ضعاف الإيمان من المسلمين ينظرون إليهم نظرة إعجاب دون نظر إلى ما هم عليه من الكفر وما ينتظرهم من سوء المصير فتبعثهم هذه النظرة الخاطئة إلى تعظيم الكفار واحترامهم في نفوسهم والتشبه بهم في أخلاقهم وعاداتهم السيئة، ولم يقلدوهم في الجد وإعداد القوة والشيء النافع من المخترعات والصناعات.

---

(١) الآية (٤٤) من سورة الفرقان.

(٢) الآيتان (٦-٧) من سورة الروم.

(٣) الآية (٢٨) من سورة فاطر.

(٤) الآية (٧٩) من سورة القصص.

(ب) النظرة الصحيحة للحياة:

هي أن يعتبر الإنسان مـا في هذه الحياة من مال وسلطان وقوى مادية وسيلة يستـعان بها لعمل الآخرة فالدنيا في الحقيقـة لا تذم لذاتها، وإنما يتوجه المدح والذم إلى فعل العبد فيها فـهي قنطرة ومعبر للآخرة ومنها زاد الجنة، وخير عيش يناله أهل الجنة إنما حصل لهم بما زرعوه في الدنيا.

فهي دار الجهاد والصلاة والصيام والإنفاق في سبيل الله ومـضمار التسابق إلى الخيرات يقول الله تعالى لأهل الجنة: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾[1]. يعني الدنيا.



س١: ما معنى النظرة المادية للحياة وما مفاسدها؟ وما النظرة الصحيحة للحياة مع الأدلة على ذلك؟

س٢: هل الدنيا تذم لذاتها، ولماذا؟

س٣: بم توعد الله أصحاب النظرة المادية للحياة مع الدليل؟

س٤: مـا الدليل على نفي الله الـعلم عن أصـحاب الـنظرة المادية، وكـيف تجـمع بين ذلك وبين خـبـرتهم في الصناعات والمخترعات؟

س٥: ما المقصود بالعلم الحقيقي مع الدليل؟

---

(١) الآية (٢٤) من سورة الحاقة.

الفصل الدراسي الثاني



التوسُّل بغير الله والاستعانة بالمخلوق



(أ) التوسل بالمخلوق إلى الله تعالى:

التوسُّل: هو التقرُّب إلى الشيء والتوصُّل إليه، والوسيلة القربة، قال الله تعالى: ﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [1] أي القربة إليه سبحانه بطاعته واتباع مرضاته.

أقسام التوسل :

التوسل قسمان :

القسم الأول- توسل مشروع ، وهو أنواع:

النوع الأول: التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته كما أمر الله تعالى بذلك في قوله: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [2].

النوع الثاني: التوسل إلى الله تعالى بالإيمان والأعمال الصالحة التي قام بها المتوسل كما قال تعالى عن أهل الإيمان: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴾ [3].

وكما في حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فسدَّت عليهم باب الغار فلم يستطيعوا الخروج فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم ففرَّج الله عنهم [4].

النوع الثالث: التوسل إلى الله تعالى بتوحيده كما توسل يونس عليه السلام:

---

(١) الآية (٣٥) من سورة المائدة.

(٢) الآية (١٨٠) من سورة الأعراف.

(٣) الآية (١٩٣) من سورة آل عمران.

(٤) انظر : صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب إذا اشترى لغيره بغير إذنه فرضي ج٣ ص٣٧ وصحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال حديث ٢٧٤٣ ص٢٠٩٩ .

﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1].

النوع الرابع: التوسل إلى الله بإظهار الضعف والحاجة والافتقار إلى الله كما قال أيوب عليه السلام:

﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[2].

النوع الخامس: التوسل إلى الله بدعاء الصالحين الأحياء، كما كان الصحابة إذا أجدبوا طلبوا من النبي ﷺ أن يدعو الله لهم ولما توفي صاروا يطلبون من عمه العباس رضي الله عنه فيدعو لهم[3].

النوع السادس: التوسل إلى الله بالاعتراف بالذنب: قال تعالى:

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي ﴾[4]، وقال تعالى حكاية عن آدم وزوجه:

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[5].

القسم الثاني - توسل ممنوع:

وهو التوسل بما عدا الأنواع المذكورة في التوسل المشروع كالتوسل بطلب الدعاء والشفاعة من الأموات، والتوسل بجاه النبي ﷺ، والتوسل بذوات المخلوقين أو حقهم، وتفصيل ذلك كما يلي:



١- طلب الدعاء من الأموات:

وهذا لا يجوز؛ لأن الميت لا يقدر على الدعاء كما كان يقدر عليه في الحياة، وطلب الشفاعة من الأموات لا يجوز؛ لأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ومن بحضرتهما من الصحابة والتابعين لهم بإحسان لما أجدبوا استسقوا وتوسلوا واستشفعوا بمن كان حياً كالعباس ويزيد بن الأسود رضي الله عنهما، ولم يتوسلوا ولم يستشفعوا ولم يستسقوا بالنبي ﷺ لا عند قبره ولا عند غيره، بل عدلوا إلى البدل كالعباس ويزيد، وقد قال عمر رضي الله عنه: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيِّنا فتسقينا وإنا نتوسل بعم نبيِّنا فاسقنا، فجعلوا هذا بدلاً عن ذلك لما تعذَّر أن يتوسلوا به على الوجه المشروع الذي كانوا يفعلونه.

---

(١) الآية (٨٧) من سورة الأنبياء.

(٢) الآية (٨٣) من سورة الأنبياء.

(٣) رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا ج٢ ص١٥ وكتاب المناقب، باب ذكر العباس بن عبد المطلب ج٤ ص٢٠٩ .

(٤) الآية (١٦) من سورة القصص.

(٥) الآية (٢٣) من سورة الأعراف.

وقد كان من الممكن أن يأتوا إلى قبره فيتوسلوا به [1] يعني لو كان جائزاً، فَتَرْكُهُم لذلك دليل على عدم جواز التوسل بالأموات لا بدعائهم ولا بشفاعتهم فلو كان طلب الدعاء منه والاستشفاع به حياً وميتاً سواء، لم يعدلوا عنه إلى غيره مِمَّن هو دونه.

٢- التوسل بجاه النبي ﷺ أو بجاه غيره:

حكمه: لا يجوز؛ لأنه لا يصح فيه دليل وهو عبادة والعبادات لا تثبت إلاَّ بدليل صحيح صريح.

وأما الحديث الذي فيه: (**إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم**)، فهو حديث مكذوب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يُعتمد عليها، ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث [2].

وإذا كان هذا في حق النبي ﷺ وهو أشرف الخلق فغيره من باب أولى.

٣- التوسل بذات المخلوقات:

حكمه: لا يجوز؛ لعدم ورود ما يدلُّ على ذلك، والتوسل عبادة والعبادة يتوقف فيها عند النص، ثم إن المتوسل بذات المخلوق إن كان يقصد بالباء في قوله: أسألك بذات فلان القسم فهو إقسام به على الله تعالى، وإذا كان الإقسام بالمخلوق على المخلوق لا يجوز ويُعَدُّ شِرْكًا كما في الحديث: (**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**) [3] فكيف بالإقسام بالمخلوق على الخالق جلّ وعلا.

وإن كانت الباء للسببية فالله سبحانه لم يجعل السؤال بالمخلوق سبباً للإجابة ولم يشرعه لعباده.

٤- التوسل بحق المخلوق:

لا يجوز لأمرين: **الأول:** أن الله سبحانه لا يجب عليه حق لأحد، وإنما هو الذي يتفضَّل سبحانه

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٣١٨-٣١٩).

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ٣١٩).

(٣) سبق تخريجه ص ١٤.



على المخلوق بذلك كما قال تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [1]، فكون المطيع يستحق الجزاء هو استحقاق فضل وإنعام، وليس هو استحقاق مقابلة كما يستحق المخلوق على المخلوق.

الثاني: أن هذا الحق الذي تفضل الله به على عبده هو حق خاص به لا علاقة لغيره به، فإذا توسل به غير مستحقه كان متوسلاً بأمر أجنبي لا علاقة له به وهذا لا يجديه شيئاً.

وأما الحديث الذي فيه: **(أسألك بحق السائلين)** فهو حديث لم يثبت لأنَّ في إسناده عطية العوفي وهو ضعيف مجمع على ضَعْفِه كما قال بعض المحدثين، وما كان كذلك فإنه لا يحتج به في هذه المسألة المهمة من أمور العقيدة ثم إنه ليس فيه توسل بحق شخص معيَّن وإنما فيه التوسل بحق السائلين عموماً وحق السائلين الإجابة كما وعدهم الله بذلك، وهو حق أوجبه على نفسه لهم لم يوجبه عليه أحد فهو توسل إليه بوعده الصادق لا بحق المخلوق.

(ب) حُكم الاستعانة والاستغاثة بالمخلوق:

الاستعانة: طلب العون والمؤازرة في الأمر.

والاستغاثة: طلب الغوث وهو إزالة الشدة.

فالاستغاثة والاستعانة بالمخلوق على نوعين:

النوع الأول: الاستعانة والاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه وهو جائز.

قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [2].

وقال تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ [3].

وكما يستغيث الرجل بأصحابه في الحرب وغيرها مما يقدر عليه المخلوق.

---

(١) الآية (٤٧) من سورة الروم.

(٢) الآية (٢) من سورة المائدة.

(٣) الآية (١٥) من سورة القصص.

النوع الثاني: الاستغاثة والاستعانة فيما لا يقدر عليه إلا الله كالاستغاثة والاستعانة بالأموات والاستغاثة بالأحياء والاستعانة بهم فيما لا يقدر عليه إلا الله من شفاء المرضى وتفريج الكربات ودفع الضر.

فهذا النوع غير جائز وهو شرك أكبر -وقد أمر النبي ﷺ ابن عباس رضي الله عنهما في وصيته له أن يتجه بالسؤال والاستعانة وطلب دفع الضر إلى الله وحده فقال ﷺ : **(إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله....)**[1]. الحديث.



الأسئلة

س١: عرف التوسل وما المراد بالوسيلة مع الدليل على ذلك؟

س٢: اذكر أنواع التوسل المشروع من خلال النصوص والآثار التالية:

١- قال تعالى: ﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ ﴾.

٢- قال تعالى: ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾.

٣- حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فسدّت عليهم باب الغار فلم يستطيعوا الخروج.

٤- قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي ﴾.

٥- قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

٦- كان الصحابة إذا أجدبوا طلبوا من النبي أن يدعو لهم ولما توفي صاروا يطلبون من عمه العباس رضي الله عنه فيدعو لهم.

---

(١) رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح، كتاب صفة القيامة باب ٥٩ ج٤ ص٦٦٧، وأحمد ١/ ٢٩٣,٣٠٧، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح حديث رقم ٢٦٦٩-٢٧٦٣-٤: ٢٨ (طبعة شاكر) والمستدرك للحاكم ٣/ ٥٤١-٥٤٢، وقد شرح هذا الحديث الحافظ ابن رجب رحمه الله في كتاب باسم (نور الاقتباس شرح وصية النبي ﷺ لابن عباس).

س٣: بيِّن الحكم فيما يأتي مع التعليل والاستدلال:

(أ) طلب الدعاء من الأموات.

(ب) التوسل بجاه النبي ﷺ.

(ج) التوسل بذات المخلوقين.

(د) التوسل بحق المخلوق.

س٤: ما المراد بالاستعانة والاستغاثة؟

س٥: بيِّن الحُكم فيما يأتي مع الاستدلال:

(أ) الاستغاثة والاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه.

(ب) الاستغاثة بالأموات.

(ج) الاستعانة بالأحياء فيما لا يقدر عليه إلاَّ الله.

الباب الثالث

ما يجب اعتقاده في الرسول ﷺ وأهل بيته وصحابته

ويتضمن الفصول التالية:

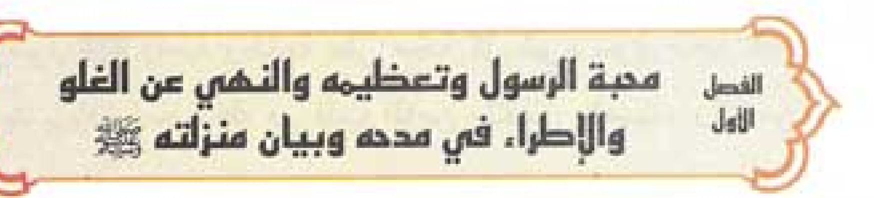
الفصل الأول : محبة الرسول وتعظيمه، والنهي عن الغلو والإطراء في مدحه، وبيان منزلته ﷺ.

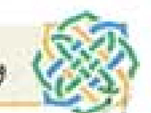
الفصل الثاني : طاعته ﷺ والاقتداء به والصلاة والسلام عليه.

الفصل الثالث : فضل أهل البيت وما يجب لهم من غير جفاء ولا غلو.

الفصل الرابع : فضل الصحابة وما يجب اعتقاده فيهم ومذهب أهل السنة والجماعة فيما حدث بينهم.

الفصل الخامس : النهي عن سب الصحابة وأئمة الهدى.





وجوب محبته وتعظيمه ﷺ:

يجب على العبد أولاً محبة الله عز وجل وهي من أعظم أنواع العبادة، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[1] لأنه هو الرب المتفضل على عباده بجميع النعم ظاهرها وباطنها، ثم بعد محبة الله تعالى تجب محبة رسول الله ﷺ لأنه هو الذي دعا إلى الله وعرَّف به وبلَّغ شريعته وبيَّن أحكامه، فما حصل للمؤمنين من خير في الدنيا والآخرة فعلى يد هذا الرسول، ولا يدخل أحد الجنة إلا بطاعته واتباعه ﷺ، وفي الحديث: (**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**)[2].

فمحبة الرسول ﷺ تابعة لمحبة الله تعالى لازمة لها وتليها في المرتبة، وقد جاء بخصوص محبته ﷺ ووجوب تقديمها على محبة كل محبوب سوى الله تعالى قوله ﷺ: (**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**)[3].

بل ورد أنه يجب على المؤمن أن يكون الرسولُ ﷺ أحبَّ إليه من نفسه كما في الحديث: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا رسول الله أنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال النبي ﷺ له: لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحبُّ إليَّ من نفسي، فقال النبي ﷺ: (**الآن يا عمر**)[4].

---

(١) الآية (١٦٥) من سورة البقرة.

(٢) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان ج١ ص٩ وفي مواضع أخرى ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان حديث ٤٣ ص ٦٦ واللفظ لمسلم.

(٣) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب حب الرسول من الإيمان ج١ ص٩ ومسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد حديث ٤٤ ص ٦٧.

(٤) رواه البخاري كتاب الأيمان والنذور باب كيف كانت يمين النبي ﷺ ج٧ ص٢١٨.

ففي هذا أن محبة الرسول ﷺ واجبة ومقدمة على محبة كل شيء سوى محبة الله فإنها تابعة لها لأنها محبة في الله ولأجله تزيد بزيادة محبة الله في قلب المؤمن وتنقص بنقصها، وكل من كان محباً له فإنما يحب في الله ولأجله.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وكل محبة وتعظيم للبشر فإنما تجوز تبعاً لمحبة الله وتعظيمه، كمحبة رسول الله ﷺ وتعظيمه فإنها من تمام محبة مرسله وتعظيمه، فإن أمته يحبونه لمحبة الله له ويُعَظّمونه ويُجلُّونه لإجلال الله له فهي محبة لله من موجبات محبة الله.

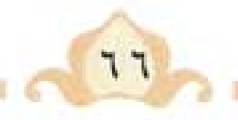
مقتضيات محبته ﷺ:

ومحبته ﷺ تقتضي تعظيمه وتوقيره واتباعه وتقديم قوله على قول كل أحد من الخلق وتعظيم سنته، وقد ألقى الله على النبي ﷺ المهابة والمحبة، ولهذا لم يكن بشرٌ أحبَّ إلى بشر ولا أهيبَ ولا أجَلَّ في صدره من رسول الله ﷺ في صدور أصحابه رضي الله عنهم، قال عمرو بن العاص بعد إسلامه: إنه لم يكن شخصٌ أبغضَ إليَّ منه، فلما أسلمتُ لم يكن شخصٌ أحبَّ إليه منه ولا أجلَّ في عيني منه، قال: ولو سُئلتُ أن أصفه لكم لما أطقت، لأني لم أكن أملأ عيني منه إجلالاً له [1].

وقال عروة بن مسعود لقريش في قصة الحديبية: أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على كسرى وقيصر والنجاشي والله إن رأيت ملكاً يعظّمه أصحابه ما يعظّم أصحابُ محمدٍ محمداً ﷺ، والله إن تنخم نخامة إلاَّ وقعت في كف رجل منهم فيدلّك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلّم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّون النظر إليه تعظيماً له [2].

(١) رواه مسلم ضمن حديث طويل في كتاب الإيمان باب كون الإسلام يهدم ما قبله حديث ١٢١ ص١١٢.

(٢) البخاري كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ج٣ ص١٧٨، وانظر جلاء الأفهام ص١٢٠-١٢١.



النهي عن الغلو والإطراء في مدحه ﷺ :

الغلو: تجاوز الحد، يقال غلا غُلُوّاً إذا تجاوز الحد في القدر، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾[1]، أي لا تجاوزوا الحد، والمراد بالغلو في حق النبي ﷺ مجاوزة الحد في قدره بأن يرفع فوق مرتبة العبودية والرسالة ويجعل له شيء من خصائص الإلهية بأن يدعى ويستغاث به من دون الله ويُحْلَف به.

والإطراء: مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه، والمراد بالإطراء في حقه ﷺ: أن يزاد في مدحه، فقد نهى ﷺ عن ذلك بقوله: (**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله**) [2] أي لا تمدحوني بالباطل ولا تجاوزوا الحد في مدحي كما غلت النصارى في عيسى عليه السلام فادَّعوا فيه الألوهية، وصِفوني بما وصفني به ربي فقولوا عبد الله ورسوله، وعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا، فقال: (**السيد الله تبارك وتعالى**)، قلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً، فقال: (**قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان**) [3].

كره ﷺ أن يمدحوه بهذه الألفاظ أنت سيدنا- أنت أفضلنا- أنت أعظمنا، مع أنه أفضل الخلق وأشرفهم على الإطلاق، لكنه نهاهم عن ذلك ابتعاداً بهم عن الغلو والإطراء في حقهم وحماية للتوحيد، وأرشدهم أن يصفوه بصفتين هما أعلى مراتب العبد، وليس فيهما غلو ولا خطر على العقيدة، وهما عبد الله ورسوله، ولم يحب أن يرفعوه فوق ما أنزله الله عز وجل من المنزلة التي رضيها له، وقد خالف نهيه ﷺ كثير من الناس فصاروا يدعونه ويستغيثون به ويحلفون به ويطلبون منه ما لا يطلب إلاَّ من الله كما يفعل في الموالد، والقصائد والأناشيد، ولا يميِّزون بين حق الله وحق الرسول ﷺ.

---

(١) الآية (١٧١) من سورة النساء.

(٢) رواه البخاري وتقدم تخريجه ص ٣٦ .

(٣) رواه أبو داود بسند جيد كتاب الأدب، باب في كراهية التمادح، ج٥ ص١٥٤-١٥٥ حديث ٤٨٠٦ وأحمد ج٤ ص٢٥ .

حكم بيان منزلته ﷺ:

لا بأس ببيان منزلته بمدحه ﷺ بما مدحه الله به وذكر منزلته التي فضله الله بها واعتقاد ذلك، فله ﷺ المنزلة العالية التي أنزله الله فيها، فهو عبد الله ورسوله وخيرته من خلقه وأفضل الخلق على الإطلاق، وهو رسول الله إلى الناس كافة، وإلى جميع الثقلين الجن والإنس، وهو أفضل الرسل، وخاتم النبيين، لا نبي بعده، قد شرح الله له صدره، ورفع له ذكره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره، وهو صاحب المقام المحمود الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾[1]، أي المقام الذي يقيمه الله فيه للشفاعة للناس يوم القيامة ليريحهم ربهم من شدة الموقف، وهو مقام خاص به ﷺ دون غيره من النبيين، وهو أخشى الخلق لله وأتقاهم له، وقد نهى الله عن رفع الصوت بحضرته ﷺ وأثنى على الذين يغضون أصواتهم عنده، فقال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

قال الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ: هذه آيات أدَّب الله فيها عباده المؤمنين فيما يعاملون به النبي ﷺ من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام، أن لا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي ﷺ فوق صوته، ونهى سبحانه وتعالى أن يُدعى الرسول باسمه كما يدعى سائر الناس فيُقال يا محمد، وإنما يدعى بالرسالة والنبوة فيُقال: يا رسول الله، يا نبي الله، قال تعالى:

﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾[3].

---

(١) الآية (٧٩) من سورة الإسراء.

(٢) الآيات (٢-٥) من سورة الحجرات.

(٣) الآية (٦٣) من سورة النور.

كمـا أن الله سبحانه يناديـه بيا أيها النبي، يا أيهـا الرسول وقد صلى الله وملائـكته عليه وأمر عـباده بالصـلاة والتـسليم عليه فـقـال تعـالـى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[1]. لكن لا يخصَّص لمدحه ﷺ وقت ولا كـيفية معينة إلاّ بدليل صـحيح من الكتاب والسنة، فما يفعله أصحاب الموالد من تخصيص اليوم الذي يزعمون أنه يوم مولده لمدحه بدعة منكرة.

تعظيم سنته ﷺ:

ومن تعظيمه ﷺ تعظيم سنته، واعتقاد وجوب العمل بها؛ لأنها وحي من الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[2].

فلا يجوز التشكيك فيـها ولا التقليل من شأنها، ولا الجراءة عليها بتصحـيح أو تضعيف أو شرح قبل الرسوخ في العلم والتمكن فـيه والتأهل له وقد كثُر في هذا الزمان تطـاول الجهال على سنة الرسول ﷺ خصوصاً من بعض الناشئين الذين لا يزالون في المراحل الأولى من التعليم، فصاروا يصحِّحون ويضعفون الأحاديث ويجرِّحون الرواة من غـير علم سوى قراءة بعض الكتب من غير تبـحر في هذا الفن العزيز، وهذا خطر عظيم عليهم وعلى الأمة فيجب عليهم أن يتقوا الله ويقفوا عند حدوده.



الأسـئلة

س١: بيِّن حُكم محبة الرسول ﷺ مع الاستدلال لذلك.

س٢: ماذا تقتضي محبة الرسول ﷺ؟

س٣: ما معنى الغلو والإطراء؟ وما المراد بهما في حق النبي ﷺ؟ وما حُكم ذلك مع الدليل؟

س٤: ما الحكمة في منع الإطراء في حقه ﷺ؟

س٥: ما المدح الذي يجوز في حق النبي ﷺ؟ واذكر شيئاً من أدلة تعظيمه في القرآن الكريم.

---

(١) الآية (٥٦) من سورة الأحزاب.

(٢) الآيتان (٣ - ٤) من سورة النجم.

تجب طاعة النبي ﷺ بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه وهذا من مقتضى شهادة أنه رسول الله.



الأدلة على وجوب طاعته ﷺ.

وقد أمر الله تعالى بطاعته في آيات كثيرة:

تارة مقرونة مع طاعة الله كما في قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾[1] وأمثالها من الآيات.

وتارة يأمر بها منفردة، كما في قوله تعالى:

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[2].

وتارة يتوعد من عصى رسوله ﷺ كما في قوله تعالى:

﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3].

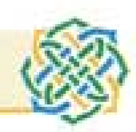
أي تصيبهم فتنة في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة أو عذاب أليم في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو غير ذلك من العقوبات العاجلة، وقد جعل الله طاعته واتباعه سبباً لنيل محبة الله للعبد ومغفرة ذنوبه، قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ﴾[4].

وجعل طاعته هداية ومعصيته ضلالاً، قال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ ﴾[5]. وقال تعالى:

﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[6].

---

(١) الآية (٥٩) من سورة النساء.
(٢) الآية (٨٠) من سورة النساء.
(٣) الآية (٦٣) من سورة النور.
(٤) الآية (٣١) من سورة آل عمران.
(٥) الآية (٥٤) من سورة النور.
(٦) الآية (٥٠) من سورة القصص.



التأسي به ﷺ:

أخبر سبحانه وتعالى أن في رسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ القدوة الحسنة لأمته فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾(١).

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ تعالى: هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظار الفرج من ربه عز وجل صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين.



شدة الحاجة إلى معرفة سنته ﷺ:

ذكر الله طاعة الرسول وأتباعه في نحو أربعين موضعاً من القرآن فالنفوس أحوج إلى معرفة ما جاء به واتباعه منها إلى الطعام والشراب فإن الطعام والشراب إذا فات الحصول عليهما حصل الموت في الدنيا، وطاعة الرسول وأتباعه إذا فاتا حصل العذاب والشقاء الدائم، وقد أمر ﷺ بالاقتداء به في أداء العبادات وأن تؤدى على الكيفية التي كان يؤديها عليها، فقال ﷺ: (**صَلُّوا كما رأيتموني أُصَلِّي**)(٢)، وقال: (**لتأخذوا مناسككم**)(٣)، وقال: (**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ**)(٤)، وقال: (**من رغب عن سنتي فليس مني**)(٥)، إلى غير ذلك من النصوص التي فيها الأمر بالاقتداء به والنهي عن مخالفته.

(١) الآية (٢١) من سورة الأحزاب.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة كذلك، من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه ج١ ص١٥٥.

(٣) رواه مسلم، عن جابر رضي الله عنه قال رأيت النبي ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر ويقول: (لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه)، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً وبيان قوله ﷺ: لتأخذوا مناسككم حديث ١٢٩٧ ص٩٤٣.

(٤) رواه مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، رقم (١٧١٨).

(٥) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح ج٦ ص ١١٦ ومسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة حديث ١٤٠١ ص١٠٢٠.

الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ:

مشروعيتها:

مِنْ حقوقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أمته الصلاة والسلام عليه قال تعالى :
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[1].

معناها:

ومعنى صلاة الله تعالى عليه ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء[2]، وقد أخبر الله سبحانه في هذه الآية عن منزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يُثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالم العلوي والسفلي.

ومعنى: ﴿ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾، أي حيُّوه بتحية الإسلام، فإذا صلى على النبي ﷺ فليجمع بين الصلاة والتسليم فلا يقتصر على أحدهما فلا يقول: صلى الله عليه فقط، ولا يقول عليه السلام فقط، لأن الله تعالى أمر بهما جميعاً.



مواطنها:

تشرع الصلاة عليه ﷺ دائما وتتأكد شرعيتها في مواضع إما وجوباً وإما استحباباً مؤكداً، وذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتابه جلاء الأفهام قريباً من أربعين موطناً، بدأها بقوله الموطن الأول: وهو أهمها وآكدها في الصلاة في آخر التشهد، وقد أجمع المسلمون على مشروعيته واختلفوا في وجوبه فيها[3] ثم ذكر من المواطن آخر القنوت وفي الخطب كخُطبة الجمعة والعيدين والاستسقاء، وبعد إجابة المؤذن، وعند الدعاء ، وعند

---

(١) الآية (٥٦) من سورة الأحزاب.
(٢) ذكره البخاري عن أبي العالية كتاب تفسير القرآن سورة الأحزاب باب قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴾ الآية ج٦ ص٢٧ .
(٣) جلاء الأفهام ص ٢٢٢ وما بعدها.



دخول المسجد والخروج منه، وعند ذكره ﷺ [1].

فوائد الصلاة على النبي ﷺ:

للصلاة على النبي ﷺ ثمرات كثيرة، منها:

- امتثال أمر الله سبحانه بذلك.

- ومنها: حصول عشر صلوات من الله على المُصَلّي مرة واحدة، ومنها رجاء إجابة الدعاء إذا قدمها أمامه.

- ومنها أنها سبب لغفران الذنوب.

- ومنها أنها سبب لرد النبي ﷺ على المُصَلّي والمُسَلِّم عليه، فصلوات الله وسلامه على هذا النبي الكريم [2].



س١: ما حكم طاعة النبي ﷺ؟ وما الدليل على ذلك؟ واذكر شيئاً من ثمراتها.

س٢: ما حكم الصلاة والسلام على النبي ﷺ مع الاستدلال، وما معنى الصلاة والتسليم عليه؟

س٣: اذكر بعض المواضع التي تتأكد فيها الصلاة على النبي ﷺ.

س٤: اذكر شيئاً من ثمرات الصلاة على النبي ﷺ.

---

(١) وقد قال بعض أهل العلم بوجوب الصلاة والسلام عليه عند ذكره، واستدلوا بقوله ﷺ: (البخيل من ذُكرت عنده فلم يصل علي).

(٢) جلاء الأفهام ص ٣٠٢.





الفصل الثالث

فضل أهل البيت وما يجب لهم من غير جفاء، ولا غلو

أهل البيت:

أهل البيت هم آل النبي ﷺ الذين حرمت عليهم الصدقة وهم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس وبنو الحارث بن عبد المطلب وأزواج النبي ﷺ وبناته.

أدلة فضل أهل البيت:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[1].

وقال ﷺ: (أذكِّركُم الله في أهل بيتي)[2].

دخول نساء النبي ﷺ في أهل البيت:

قال تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾[3].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: ثم الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾.

فإن سياق الكلام معهن، ولهذا قال بعد هذا كله:

﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾.

---

(١) الآية (٣٣) من سورة الأحزاب.

(٢) رواه مسلم/ كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه حديث ٢٤٠٨ ص ١٨٧٣.

(٣) الآية (٣٢- ٣٤) من سورة الأحزاب.



أي واعملن بما ينزل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ في بيوتكن من الكتاب والسنة، قاله قتادة وغير واحد، اذكرن هذه النعمة التي خصصتن بها من بين الناس، وعائشة الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق رضي الله عنها أولاهن بهذه النعمة وأخصهن من هذه الرحمة العميمة.

فإنه لم ينزل على رسول الله ﷺ الوحي في فراش امرأة سواها، كما نص على ذلك صلوات الله وسلامه عليه[1] وقال بعض العلماء لأنه لم يتزوج بكراً سواها، ولم ينم معها رجل في فراشها سواه ﷺ (يريد أنها لم تتزوج غيره)، فناسب أن تختص بهذه المزية وأن تنفرد بهذه المرتبة العلية، ولكن إذا كان أزواجه من أهل البيت فقرابته أحق بهذه التسمية [2].

مذهب السلف في أهل البيت:

موقف السلف من أهل البيت موقف الاعتدال والإنصاف، يتولون أهل الدين والاستقامة منهم ويحبونهم ويكرمونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ وإكرامه، ويتبرؤون ممن خالف السنة وانحرف عن الدين ولو كان من أهل البيت، فإن كونه من أهل البيت ومن قرابة الرسول لا تنفعه شيئاً حتى يستقيم على دين الله، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[3] فقال: **(يا معشرَ قريشٍ - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً ،يا عباسُ بنَ عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفيةُ عمةَ رسول الله لا أغني عنكِ من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً)** [4] والحديث: **(مَنْ بَطَّأَ به عَمَلُهُ لم يُسْرِعْ به نَسَبُهُ)** [5]، ويتبرأ أهل السنة

---

(١) جزء من حديث طويل، انظر البخاري كتاب الهبة باب من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه دون بعض ج٣ ص١٣٢ .

(٢) تفسير ابن كثير - تفسير سورة الأحزاب. (٣) الآية (٢١٤) من سورة الشعراء.

(٤) رواه البخاري، كتاب الوصايا، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب ج٣ ص ١٩٠ وانظر مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ حديث ٢٠٦ ص ١٩٢ .

(٥) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر حديث ٢٦٩٩ ص ٢٠٧٤ .



والجماعة من الذين يغلون في بعض أهل البيت ويدّعون لهم العـصمة، ومن الذين ينصبون العداوة لأهل البيت المستقيـمين ويطعنون فيهم، ومن طريقة المبتدعة والخرافيين الذين يتـوسلون بأهل البيت ويتخذونهم أرباباً من دون الله.

فأهل السنة في هذا الباب وغيره على المنهج المعتدل والصـراط المستقيم الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، ولا جفاء ولا غلو في حق أهل البيت وغيرهم، وأهل البيت المستقيمون ينكرون الغلو فيهم ويتبرؤون من الغلاة، فقد حـرق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الغلاة الذين غلوا فيـه بالنار، وأقرّه ابن عباس رضي الله عنهما على قتلهم لكن يرى قتلهم بالسـيف بدلاً من التحريق، وطلب علي رضي الله عنه عبد الله بن سـبأ رأس الغلاة ليقتله لكنه هرب واختفى.



الأسـئلة

س١: مَنْ أهل البيت؟ وما الذي يجب في حقهم؟ وما شرط ذلك مع الاستدلال.

س٢: ما حكم الغلو في حق أهل البيت؟ وحكم الجفاء فيه؟

فضل الصحابة وما يجب اعتقاده فيهم ومذهب أهل السنة والجماعة فيما حدث بينهم



ما المراد بالصحابة؟ وما الذي يجب اعتقاده فيهم؟

الصحابة جمع صحابي: وهو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك.

والذي يجب اعتقاده فيهم أنهم أفضل الأمة وخير القرون لسبقهم واختصاصهم بصحبة النبي ﷺ والجهاد معه وتحمل الشريعة عنه وتبليغها لمن بعدهم، وقد أثنى الله عليهم في محكم كتابه، قال تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[1].

ففي هذه الآية أثنى الله سبحانه على المهاجرين والأنصار ووصفهم بالسبق إلى الخيرات وأخبر أنه قد رضي عنهم وأعد لهم جنات النعيم. وقال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[2].

ففي هذه الآية وصفهم بالتراحم فيما بينهم والشدة على الكفار، ووصفهم بكثرة الركوع والسجود، وصلاح القلوب وأنهم يُعرفون بسيما الطاعة والإيمان وأن الله اختارهم لصحبة نبيه ليغيظ بهم أعداءه الكفار. وقال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[3].

---

(١) الآية (١٠٠) من سورة التوبة.

(٢) الآية (٢٩) من سورة الفتح.

(٣) الآيتان (٨-٩) من سورة الحشر.



ففي هذه الآية وصف الله المهاجرين بترك أوطانهم وأموالهم من أجل الله ونصرة دينه وابتغاء فضله ورضوانه، وأنهم صادقون في ذلك. ووصف الأنصار بأنهم أهل دار الهجرة والنصرة والإيمان الصادق ووصفهم بمحبة إخوانهم المهاجرين وإيثارهم على أنفسهم ومواساتهم لهم وسلامتهم من الشح وبذلك حازوا على الفلاح.

هذه بعض فضائلهم العامة، وهناك فضائل خاصة ومراتب يَفْضُلُ بها بعضهم بعضاً، رضي الله عنهم وذلك بحسب سبقهم إلى الإسلام والجهاد والهجرة، قال الطحاوي ـ رحمه الله ـ: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»[1].

تفاضل الصحابة:

فأفضل الصحابة الخلفاء الأربعة: أبو بكر رضي الله عنه ثم عمر رضي الله عنه ثم عثمان رضي الله عنه ثم علي رضي الله عنه، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة، وهم طلحة رضي الله عنه والزبير رضي الله عنه وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وسعيد بن زيد رضي الله عنه، ويَفْضُلُ المهاجرون على الأنصار، وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان، ويفضل من أسلم قبل الفتح وقاتل على من أسلم بعد الفتح. قال تعالى:
﴿ وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السماوات والأرض لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير ﴾[2].

مذهب أهل السنة والجماعة فيما حدث بين الصحابة من القتال والفتنة:

سبب الفتنة: تآمر اليهود على الإسلام وأهله فاندسّ فيهم ماكرٌ خبيث تظاهر بالإسلام كذباً وزوراً هو عبد الله بن سبأ اليهودي، فأخذ هذا اليهودي ينفث حقده وسمومه ضد الخليفة الثالث من الخلفاء الراشدين: عثمان رضي الله عنه وأرضاه، ويختلق التهم ضده، فالتف حوله من انخدع به من قاصري النظر وضعاف الإيمان ومحبي الفتنة، وانتهت المؤامرة بقتل الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه مظلوماً، وعلى إثر مقتله حصل الاختلاف بين المسلمين وشبت الفتنة بتحريض من هذا اليهودي وأتباعه وحصل القتال بين الصحابة عن اجتهاد منهم.

---

(١) العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز ص ٤٢٠.


(٢) الآية (١٠) من سورة الحديد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: فلما قُتل عثمانُ رضي الله عنه تفرّقت القلوب وعظُمت الكروب، وظهرت الأشرار وذلّت الأخيار، وسعى في الفتنة من كان عاجزاً عنها، وعجز عن الخير والصلاح من كان يحب إقامتها، فبايعوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو أحق الناس بالخلافة حينئذٍ وأفضل من بقيّ، لكن كانت القلوب متفرقة، ونار الفتنة متوقدة، فلم تتفق الكلمة، ولم تنتظم الجماعة، ولم يتمكّن الخليفة وخيار الأمة من كل ما يريدونه من الخير ودخل في الفرقة والفتنة أقوام، وكان ما كان[1].

ومذهب أهل السنة والجماعة في الاختلاف الذي حصل والفتنة التي وقعت من جرائها الحروب بين الصحابة يتلخّص في أمور:

الأمر الأول: أنهم يمسكون عن الكلام فيما حصل بين الصحابة ويكفون عن البحث فيه، لأن طريق السلامة هو السكوت عن مثل هذا، ويقولون:

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

الأمر الثاني: الإجابة عن الآثار المروية في مساويهم وذلك من وجوه:

الأول: أن هذه الآثار منها ما هو كذب قد افتراه أعداؤهم ليشوهوا سمعتهم.

الثاني: أن هذه الآثار منها ما قد زيد ونقص فيه وغُيّر عن وجهه الصحيح ودخله الكذب، فهو محرّف لا يُلتفت إليه.

الثالث: أن ما صح من هذه الآثار - وهو القليل- هم فيه معذورون، لأنهم إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون، فهو من موارد الاجتهاد الذي إن أصاب المجتهد فيه فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد والخطأ مغفور، لما في الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: **(إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر)**[3].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٤ ٣٠-٣٠٥).

(٢) الآية (١٠) من سورة الحشر.

(٣) في الصحيحين من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ج٨ ص ١٥٧ ومسلم كتاب الأقضية باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ حديث ١٧١٦ ص ١٣٤٢.



الأمر الثالث: أنهم بشر يجوز على أفرادهم الخطأ فهم ليسوا معصومين من الذنوب بالنسبة للأفراد، لكن ما يقع منهم فله مكفرات عديدة، منها:

١- أن يكون قد تاب منه، والتوبة تمحو السيئة مهما كانت، كما جاءت به الأدلة.

٢- أن لهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما صدر منهم- إن صدر- قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾[1]، ولهم من الصحبة والجهاد مع رسول الله ﷺ ما يغمر الخطأ الجزئي.

٣- أنهم تضاعف لهم الحسنات أكثر من غيرهم ولا يساويهم أحد في الفضل وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنهم خير القرون، وأن المُدّ من أحدهم إذا تصدّق به أفضل من جبل أُحُدٍ ذهباً إذا تصدّق به غيرهم[2] رضي الله عنهم وأرضاهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: وسائر أهل السنة والجماعة وأئمة الدين لا يعتقدون عصمة أحد من الصحابة ولا القرابة ولا السابقين ولا غيرهم، بل يجوز عندهم وقوع الذنوب منهم، والله تعالى يغفر لهم بالتوبة ويرفع بها درجاتهم ويغفر لهم بحسنات ماحية أو بغير ذلك من الأسباب[3].

من مسالك أهل البدع وأعداء الدين استغلال ما حدث بين الصحابة:

وقد اتخذ أعداء الله ما وقع بين الصحابة وقت الفتنة من الاختلاف والاقتتال سبباً للوقيعة فيهم والنيل من كرامتهم، وقد جرى على هذا المخطّط الخبيث بعض الكتّاب المعاصرين الذين يهرفون بما لا يعرفون فجعلوا أنفسهم حكماً بين أصحاب رسول الله ﷺ يصوّبون بعضهم ويخطّئون بعضهم بلا دليل، بل بالجهل واتباع الهوى وترديد ما يقوله المغرضون والحاقدون من المستشرقين وأذنابهم، حتى شككوا بعض

---

(١) الآية (١١٤) من سورة هود.

(٢) في الحديث المتفق عليه انظر البخاري كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً ج٤ ص ١٩١ ح ٣٦٧٣ ومسلم كتاب فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم حديث ٢٥٤٠-٢٥٤١ ص ١٩٦٧.

(٣) انظر مجموع الفتاوى (٣٥/٦٩).



ناشئة المسلمين ممَّن ثقافتهم ضحلة بتاريخ أمتهم المجيد، وسلفهم الصالح الذين هم خير القرون، لينفذوا بالتالي إلى الطعن في الإسلام وتفريق كلمة المسلمين، وإلقاء البُغض في قلوب آخر هذه الأمة بدلاً من الاقتداء بالسلف الصالح والعمل بقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].



الأسئلة

س١ : ما المراد بالصحابة؟ وما الذي يجب اعتقاده فيهم مستدلاً لذلك؟

س٢ : من أفضل الصحابة ؟ اذكر ترتيبهم حسب الأفضلية.

س ٣ : ما سبب الفِتَن التي وقعت في عهد الصحابة؟

س٤ : ما الذي يعتقده أهل السنة في الصحابة الذين عاصروا الفتنة واقتتلوا فيها، وما اعتذارهم عن ذلك؟

---

(١) الآية (١٠) من سورة الحشر.



النهي عن سب الصحابة:

من أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، كما وصفهم الله بذلك في قوله: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[1].

وطاعة لرسول الله ﷺ في قوله: (**لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَه**)[2].

ويتبرؤون مَن الذين يسبون الصحابة رضي الله عنهم ويبغضونهم ويجحدون فضائلهم ويكفّرون أكثرهم.

وأهل السنة يقبلون ما جاء في الكتاب والسنة من فضائلهم ويعتقدون أنهم خير القرون كما قال النبي ﷺ في حديث عمران بن حصين رضي الله عنه: (**خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**) قال عمران: لا أدري أذكَرَ النبيُّ ﷺ بَعدُ قرنين أو ثلاثة الحديث[3].

قال أبو زرعة الرازي وهو من أجَلّ شيوخ الإمام مسلم: إذا رأيت الرجل ينتقص امرءاً من الصحابة فاعلم أنه زنديق وذلك أن القرآن حق، والرسول حق وما جاء به حق، وما أدى إلينا ذلك كله إلا الصحابة، فمن جرحهم إنما أراد إبطال الكتاب والسنة، فيكون الجرح به أليق والحكم عليه بالزندقة والضلال أقوم وأحق.

قال العلامة ابن حمدان في نهاية المبتدئين: من سب أحداً من الصحابة مستحلاً كفر، وإن لم يستحل فسق، وعنه يكفر مطلقاً، ومن فَسَّقهم أو طعن في دينهم أو كفَّرهم كفر[4]، وقال تعالى في شأن الصحابة رضي الله عنهم:

﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾[5].

(١) الآية (١٠) من سورة الحشر (٢) الحديث متفق عليه تقدم تخريجه ص ٧٩.

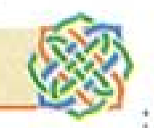
(٣) الحديث في الصحيحين البخاري كتاب الشهادات باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد ج٣ ص١٥١ رقم (٢٦٥١) وانظر مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل الصحابة ثم الذين يلونهم حديث ٢٥٣٥ ص١٩٦٤.

(٤) شرح عقيدة السفاريني (٢/٣٨٨-٣٨٩). (٥) الآية (٢٩) من سورة الفتح.





وقد استدل الإمام مالك ـ رحمه الله ـ بهذه الآية على تكفير الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم. قال: لأنهم يغيظونهم، ومن غاظه الصحابة فهو كافر لهذه الآية، ووافقه غيره من العلماء على ذلك[1].



النهـي عن سب أئمة الهـدى من علمـاء هذه الأمـة:

يلي الصحابة في الفضيلة والكرامة والمنزلة أئمة الهدى من التابعين وأتباعهم من القرون المفضلة ومن جاء بعدهم ممن تبع الصحابة بإحسان كما قال تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾[2].

فلا يجوز تنقصهم وسبُّهم، لأنهم أعلام هدى، فقد قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾[3].

قال شارح الطحاوية: فيجب على كل مسلم بعد موالاة الله ورسوله موالاة المؤمنين، كما نطق به القرآن خصوصاً الذين هم ورثة الأنبياء، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم يهتدى بهم في ظلمات البر والبحر وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم.

لهم الفضل علينا، والمنة بالسبق وتبليغ ما أرسل به الرسول ﷺ إلينا، وإيضاح ما كان منه يخفى علينا، فرضي الله عنهم وأرضاهم ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[4].

فإنهم خلفاء الرسول في أمته، والمحيون لما مات من سنته فبهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا وكلهم متفقون اتفاقاً يقيناً على وجوب اتباع الرسول ﷺ، ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلابد له في تركه من عذر.

---

(١) انظر كتاب: الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة لابن حجر الهيتمي ٢/٦٠٧ طبعة مؤسسة الرسالة.

(٢) الآية (١٠٠) من سورة التوبة.

(٣) الآية (١١٥) من سورة النساء.

(٤) الآية (١٠) من سورة الحشر.



وجماع الأعذار ثلاثة أصناف:

أحدها: عدم اعتقاده أن النبي ﷺ قاله.

الثاني: عدم اعتقاده أنه أراد تلك المسألة بذلك القول.

الثالث: اعتقاده أن الحكم منسوخ[1].

والحطُّ من قدر العلماء بسبب وقوع الخطأ الاجتهادي من بعضهم هو من طريقة المبتدعة، ومن مخططات أعداء الأمة للتشكيك في دين الإسلام ولإيقاع العداوة بين المسلمين، ولأجل فصل خلف الأمة عن سلفها، وبث الفرقة بين الشباب والعلماء كما قد يقع أحياناً، فليتنبه لذلك الذين يحطون من قدر الفقهاء ومن قدر الفقه الإسلامي ويزهدون في دراسته والانتفاع بما فيه من حق وصواب، فليعتزوا بفقههم وليحترموا علماءهم، ولا ينخدعوا بالدعايات المضللة والمغرضة والله الموفق.



س١ : ما حكم من سب الصحابة مع الاستدلال؟

س٢ : ما حكم سب أئمة الهدى من علماء هذه الأمة مستدلاً لما تقول؟

س٣ : ما الجواب عن خطأ بعض العلماء في بعض المسائل الفقهية؟

---

(١) انظر شرح الطحاوية بتخريج الألباني ص ٤٩١ بتصرف.



مقدمـــــة:

تحرص المجتمعات على توثيق العلاقة بين الأفـراد المنتمين لها وربطهم بوشائج من التـقارب والتآلف والحقوق المشتـركة، وربما نزع كثير منهـا إلى الغلو في حقوق أفرادها في مقابل هـضم حقوق الآخرين، والغاية من دراسة هذا الموضوع: بيـان ما يجب على المسلم تجاه إخوانه ومجتمعـه وأمّته، وما يجب عليه تجاه غير المسلمين.

١ - تعريف الولاء والبراء:

الولاء في اللغة مصدر والى فلاناً بمعنى أحبه وناصره وقرب منه.

وفي الشرع: القرب من المسلمين بمودتهم ومناصرتهم.

والبراء في اللغة يطلق على معانٍ منها: التباعد من الشيء ومفارقته.

وفي الشرع: التباعد من الكفر واجتناب مشابهة أهله في عقائدهم وأعمالهم الباطلة وعدم مناصرتهم على المسلمين.

٢ - مكانة الولاء والبراء في الإسلام:

إن من لوازم التـوحيد أن توالي أهله وتـتبرأ ممن عـادى الإسلام، قـال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾[1]،

(١) الآية (٥٥-٥٦) من سورة المائدة.



وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾[1] الآية، وقال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾[2].

كما أن للولاء والبراء في السنة مكانةً عظيمةً فهُمَا من أوثق عُرَى الإيمان، كما في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(أوثق عُرَى الإيمان الحُبُّ في الله والبُغْضُ في الله)**[3].

فتبين من هذه الأدلة وجوب موالاة المؤمنين والبراءة من أعدائهم وبيان ما في ذلك من الخير الكثير.



٣- من لوازم موالاة المؤمنين:

أ- الأخوة الإسلامية:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[4] وقال ﷺ: **(المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره)**[5] فيجب على كل مسلم أن يرعى حق الأخوة؛ ومن تحقيق هذه الأخوة الوقوف مع المسلمين في حال اليسر والعسر والرخاء والشدة، وحب الخير لهم، والتعرف على أحوالهم، والاهتمام بقضاياهم وبذل الوسع والجهد في نصرتهم.

قال رسول الله ﷺ: **(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مَثَل الجَسَد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسَّهَر والحُمَّى)**[6] وقال ﷺ: **(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه)**[7].

---

(١) الآية (١) من سورة الممتحنة.

(٢) الآية (٢٢) من سورة المجادلة.

(٣) رواه ابن أبي شيبة مصنفه ٧ / ٨٠ برقم (٣٤٣٣٨) والطيالسي في مسنده ١ / ١٠١ وحسنه الألباني في الصحيحة برقم (٩٩٨).

(٤) الآية (١٠) من سورة الحجرات.

(٥) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ح٢٥٦٤.

(٦) رواه البخاري كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم برقم (٦٠١١)، ومسلم كتاب البر والصلة باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم برقم (٢٥٨٦) واللفظ له.

(٧) رواه البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب نصر المظلوم ح٢٤٤٦ ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين برقم (٢٥٨٥).



ب-المناصرة:

وهي معاونتهم بالنفس والمال حسب الاستطاعة قال تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ﴾[1]. وقال الرسول ﷺ: **(انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجل يا رسول الله أنصره إن كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره، قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره)**[2]، فَمِنْ نُصْرَتِه أن يمنعه من الباطل ويحميه منه بالحكمة والرفق.

ج- المناصحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[3] وقوله ﷺ: **(الدين النصيحة قالها ثلاثاً، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)**[4].

د. السمع والطاعة لولاة الأمر:

إن وحدة المسلمين وأمنهم مطلب أساس في حياتهم، وهذا ما لا يمكن تحصيله إلا بالسمع والطاعة لولاة الأمر، والتزام الجماعة، ولذا فإن طاعة ولاة الأمر من مقتضيات موالاة المؤمنين قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[5].

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على عظم شأن اجتماع كلمة المسلمين ووحدتهم ولزوم جماعتهم، وحذرت من التفرق ونهت عن الخروج عن جماعة المسلمين وإمامهم، قال تعالى:

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[6]، وعن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال: **(دعانا النبي ﷺ فبايعناه فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا**

---

(١) الآية (٧٢) من سورة الأنفال.

(٢) رواه البخاري كتاب الإكراه باب يمين الرجل لصاحبه أنه أخوه .. ح ٦٩٥٢.

(٣) الآية (٧١) من سورة التوبة.

(٤) رواه مسلم كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة برقم (٥٥).

(٥) الآية (٥٩) من سورة النساء.

(٦) الآية (١٠٣) من سورة آل عمران.



وأَثَرَةٍ علينا وأن لا تُنازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان)[1] وعن ابن عباس- رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: **(من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات فميتة جاهلية)**[2].

٤- الفرق بين المداهنة والمداراة:

المداهنة هي: المصانعة مع ترك المناصحة، حيث يترك المداهن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويتغافل عن ذلك لغرضٍ دنيويٍّ أو هوىً نفسيٍّ.

وقد حذر الله رسوله ﷺ مما طلبه المشركون منه من المداهنة حيث قال تعالى:

﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾[3].

المداراة: هي الملاينة التي تُدرأ بها المفسدة والشر ويكون ذلك بالقول اللين وترك الغلظة والإعراض عن صاحب الشر إذا خيف شره أو خيف من حصول شر أكبر مما هو مقترف أو كان ممن ترجى هدايته.

٥- نماذج من الولاء والبراء:

أ- من نماذج الموالاة في الله: موقف الأنصار- رضي الله تعالى عنهم- من إخوانهم المهاجرين- رضي الله عنهم والذي ذكره الله بقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[4].

---

(١) رواه البخاري كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس، ح٧١٩٩ ومسلم كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء، ح ٤٧٦٨ واللفظ له.

(٢) رواه البخاري كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة، ح ٧١٤٣ ومسلم كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، ح ١٨٤٩ واللفظ له.

(٣) الآية (٩) من سورة القلم.

(٤) الآية (٩) من سورة الحشر.



﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ ﴾ أي سكنوا دار الهجرة وآمن كثير منهم قبل كثير من المهاجرين وهم الأنصار ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ أي من كرمهم وشرف أنفسهم يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ ﴾ أي لا يجدون حسداً لإخوانهم على ما آتاهم الله من فضله، ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ أي يقدمون المحاويج على أنفسهم ولو كانوا هم محتاجين، فيقدمون دفع حاجة إخوانهم على دفع حاجة أنفسهم.

ب- من نماذج البراء: في حق الذين قاتلوا المسلمين وآذوهم ما ورد في سورة الممتحنة في قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[1].

أما الذين لم يقاتلوا المسلمين ولم يخرجوهم فإن الله لم ينه عن برهم والإقساط إليهم كما قال سبحانه:

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[2].

٦- الاستعانة بغير المسلمين:

(أ) يجوز للمسلم أن يستعين بغير المسلم في بعض أمور حياته إذا وثق به، فقد استعان ﷺ وأبو بكر- رضي الله عنه- بعبد الله بن أريقط الدؤلي ولم يكن مسلماً ليدلهما في سفر الهجرة، كما استعان ﷺ بغير المسلمين في زراعة أرض خيبر لخبرتهم بذلك، وجعل لهم شطر ما يخرج منها، وبناءً على ذلك لا يزال المسلمون يستفيدون من خبرات غيرهم في الطب والحساب والفلك والتجارة وغير ذلك.

(ب) يجوز لولي أمر المسلمين الاستعانة بغير المسلمين إذا وثق بهم وكان بالمسلمين حاجة لذلك، قال ابن القيم: (الاستعانة بالمشرك المأمون في الجهاد جائزة عند الحاجة؛ لأن عين النبي ﷺ في الحديبية كان

(١) الآية (٩) من سورة الممتحنة.

(٢) الآية (٨) من سورة الممتحنة.



غير مسلم من خزاعة، ويرى الشيخ محمد بن عبدالوهاب أن الانتفاع بغير المسلمين في بعض أمور الدين ليس مذموماً لقصة الخزاعي)[1].

(ج): لا يجوز أن يجعل لغير المسلم سلطة عامة على المسلمين؛ لأن الله تعالى نهى عن ذلك بقوله: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾[2]. وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ ﴾[3].



٧- التعامل مع غير المسلمين:

وهم من حيث التعامل معهم على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: المعاهدون على إقرارهم على دينهم وإقامتهم في بلاد المسلمين وتحت حمايتهم، وهؤلاء يجب الوفاء لهم بالعهد فلا يجوز الاعتداء عليهم في دمائهم وأموالهم أو حقوقهم؛ لأنها معصومة لا يحل شيء منها إلا بوجه شرعي؛لقوله ﷺ: **(من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة)**[4] وقوله ﷺ: **(ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة)**[5].

النوع الثاني: المعاهَدون على كَفِّ القتال،والمستأمَنون وهم الذين لهم أمان، كسفراء الدول غير المسلمة والرسل والمندوبين ومن قدم لتجارة أو لمعرفة الإسلام فهؤلاء يحترمون في دمائهم وأموالهم وحقوقهم لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾[6].

---

(١) ملحق مصنفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، بعض فوائد صلح الحديبية ص٧.

(٢) آية (١٤١) من سورة النساء.

(٣) آية (١١٨) من سورة آل عمران.

(٤) رواه البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم، برقم (٣١٦٦).

(٥) رواه أبو داود، كتاب الخراج، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارة، برقم (٣٠٥٢).

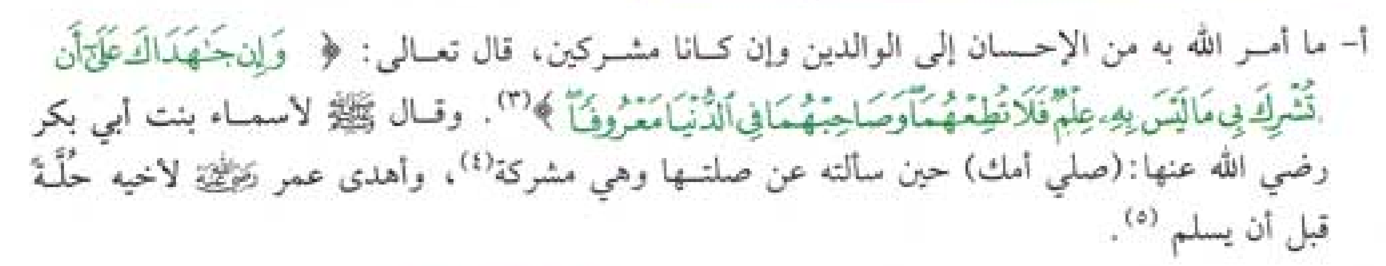
(٦) آية (٦) من سورة التوبة.

ولقوله عليه الصلاة والسلام: (إني لا أخيس «أي أنقض» بالعهد ولا أحبس البُرُدَ)[١].

النوع الثالث: المحاربون والمعتدون وهؤلاء قد أمر الله برد عدوانهم وقتالهم، قال تعالى:

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾[٢].

٨- نماذج من التعامل مع غير المسلمين:



أ- ما أمر الله به من الإحسان إلى الوالدين وإن كانا مشركين، قال تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ ﴾[٣]. وقال ﷺ لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: (صلي أمك) حين سألته عن صلتها وهي مشركة[٤]، وأهدى عمر رضي الله عنه لأخيه حلّة قبل أن يسلم[٥].

ب- عدم إكراههم في الدين أو سب آلهتهم؛ لقوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾[٦] وقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ ﴾[٧].

ج- عيادة مريضهم ورعاية جوارهم بالإحسان إليهم؛ لقوله ﷺ: (**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره**)[٨] وهذا عام للمسلم وغيره.

وقد ذكر أهل العلم أن الجار المشرك له حق الجوار أخذاً من قوله تعالى:

﴿ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ ﴾[٩] **ولأن النبي ﷺ كان عنده غلام يهودي يخدمه فمرض فأتاه يعوده..)**[١٠].

---

(١) رواه أبو داوود، كتاب الجهاد، باب في الإمام يستجن به في العهود، برقم (٢٧٥٨)، والبُرُد: الرُّسُل.

(٢) آية (١٩٠) من سورة البقرة. (٣) آية (١٥) من سورة لقمان.

(٤) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب صلة المرأة أمها ولها زوج، برقم (٥٩٧٩).

(٥) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب صلة الأخ المشرك، برقم (٥٩٨١).

(٦) آية (٢٥٦) من سورة البقرة. (٧) آية (١٠٨) من سورة الأنعام.

(٨) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف...، برقم (٤٨).

(٩) آية (٣٦) من سورة النساء.

(١٠) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه ؟، برقم (١٣٥٦).

د- جواز الاتجار مع غير المسلمين حتى مع الحربيين، فلكل منهم دخول بلاد الآخر بأمان للتجارة؛ لأنه ﷺ أذن لثُمامة بن أثال الحنفي أن يبيع الطعام من اليمامة لأهل مكة. فهذا التعامل جائز مع المحاربين كما جاز مع أهل الذمة بدليل أنه ﷺ مات ودرعه مرهونة عند يهودي[1].

ويتلخص من هذا أن المحاربين من الكفار هم الذين يتصدى لهم المسلمون بالحرب، أما غير المحاربين من المعاهدين والمستأمنين فإن برهم والإحسان إليهم والتعامل معهم (ليس من الموالاة والمودة المنهي عنها، بل هو من الإحسان الذي يحبه الله ويرضاه وكتبه على كل شيء)[2].

أسئلة عامة على الباب:

س١. عرف الولاء والبراء.

س٢. بيِّنْ مكانة الولاء والبراء في الإسلام.

س٣. بيِّنْ لوازم موالاة المؤمنين.

س٤. ما الفرق بين المداهنة والمداراة؟

س٥. اذكر نموذجاً من الولاء.

س٦. اذكر نموذجاً من البراء.

س٧. ما حكم الاستعانة بغير المسلمين؟

س٨. اذكر أقسام غير المسلمين من حيث التعامل.

س٩. اذكر نماذج من التعامل مع غير المسلمين.

---

(١) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب شراء النبي ﷺ بالنسيئة، برقم (٢٠٦٨).

(٢) كتاب أحكام أهل الذمة لابن القيم ص٢٠١.

في البـــدع

ويتضمن الفصول التالية:

الفصل الأول : تعريف البدعة - أنواعها وأحكامها.

الفصل الثاني : ظهور البدع في حياة المسلمين، والأسباب التي أدت إليها ومفاسدها.

الفصل الثالث : موقف الأمة الإسلامية من المبتدعة، ومنهج السلف في الرد عليهم.

الفصل الرابع : نماذج من البدع المعاصرة وهي:

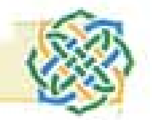
١- الاحتفال بالمولد النبوي.

٢- التبرك بالأماكن والآثار والأشخاص.

٣- البدع في مجال العبادات والتقرب إلى الله.



الفصل الأول تعريف البدعة ـ أنواعها وأحكامها



تعريفهـــا:

البدعة في اللغة: مأخوذة من البدع وهوالاختراع على غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى:
﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[1] أي مخترعها على غير مثال سابق، وقوله تعالى:
﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[2] أي ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله إلى العباد بل تقدمني كثير من الرسل. ويقال: ابتدع فلان بدعة يعني ابتدأ طريقة لم يسبق إليها.

البدعة في الشرع: ما أُحْدِثَ في الدين على خلاف ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من عقيدة وعمل.

أقسام الابتداع:

الابتداع قسمان:

ابتداع في العادات كابتداع المخترعات الحديثة وهذا مباح؛ لأن الأصل في العادات الإباحة، وابتداع في الدين وهذا محرم؛ لأن الأصل فيه التوقيف، قال ﷺ: **(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)**[3] وفي رواية: **(من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)**[4].

أنواع البدعة:

البدعة نوعان:

النوع الأول: بدعة قولية اعتقادية كمقالات الجهمية والمعتزلة وسائر الفرق الضالة واعتقاداتهم.

النوع الثاني: بدعة عملية كالتعبد لله بعبادة لم يشرعها، وهي أقسام:

١- ما يكون في أصل العبادة: بأن يحدث عبادة ليس لها أصل في الشرع، كأن يحدث صلاة غير مشروعة أو صياماً غير مشروع أصلاً أو أعياداً غير مشروعة كأعياد الموالد وغيرها.

٢- ما يكون من الزيادة في العبادة المشروعة، كما لو زاد ركعة خامسة في صلاة الظهر أو العصر مثلاً.

٣- ما يكون في صفة أداء العبادة المشروعة بأن يؤديها على صفة غير مشروعة، وذلك كأداء الأذكار المشروعة بأصوات جماعية مطربة، وكالتشديد على النفس في العبادات إلى حد يخرج عن سنة الرسول ﷺ.

---

(١) الآية (١١٧) من سورة البقرة. (٢) الآية (٩) من سورة الأحقاف.

(٣) رواه البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، برقم (٢٦٩٧). (٤) تقدم تخريجه ص ٧١.

٤- ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة لم يخصصه الشرع كتخصيص يوم النصف من شعبان وليلته بصيام وقيام، فإن أصل الصيام والقيام مشروع ولكن تخصيصه بوقت من الأوقات يحتاج إلى دليل.

حكم البدعة في الدين بجميع أنواعها:

كل بدعة في الدين فهي محرمة وضلالة؛ لقوله ﷺ: **(وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)**[١] وقوله ﷺ: **(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)**[٢]، وفي رواية: **(من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)**[٣] فدل الحديثان على أن كل محدث في الدين فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة مردودة، ومعنى ذلك أن البدع في العبادات والاعتقادات محرمة ولكن التحريم يتفاوت بحسب نوعية البدعة.

فمنها ما هو كفر صراح، كالطواف بالقبور تقرباً إلى أصحابها، وتقديم الذبائح والنذور لها، ودعاء أصحابها، والاستغاثة بهم، وكأقوال غلاة الجهمية والمعتزلة.

ومنها ما هو من وسائل الشرك، كالبناء على القبور والصلاة والدعاء عندها.

ومنها ما هو فسق اعتقادي كبدعة الخوارج والقدرية والمرجئة في أقوالهم واعتقاداتهم المخالفة للأدلة الشرعية.

ومنها ما هو معصية كبدعة التبتل والصيام قائماً في الشمس[٤].

تنبيه: حكم تقسيم البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة:

من قسم البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة فهو مخطئ ومخالف لقوله ﷺ: **(فإن كل بدعة ضلالة)** لأن الرسول ﷺ حكم على البدع كلها بأنها ضلالة، وهذا يقول ليس كل بدعة ضلالة بل هناك بدعة حسنة، قال الحافظ ابن رجب في شرح الأربعين: فقوله ﷺ: **(كل بدعة ضلالة)** من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء وهو من أصول الدين، وهو شبيه بقوله ﷺ: **(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)** فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة. والدين بريء منه سواء في ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة. انتهى[٥].

---

(١) جزء من حديث طويل عن العرباض بن سارية ﷺ رواه أبوداود كتاب السنة باب في لزوم السنة حديث ٤٦٠٧ والترمذي كتاب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع حديث ٢٦٧٦ وقال: حديث حسن صحيح، ورواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وأحمد وغيرهم، وقال البزار: حديث ثابت صحيح، وقال ابن عبدالبر: حديث ثابت.

(٢) رواه البخاري وتقدم تخريجه آنفاً.

(٣) رواه مسلم وتقدم تخريجه ص ٧١.

(٤) انظر الاعتصام للشاطبي ٢/ ٣٧.

(٥) جامع العلوم والحكم ص ٢٣٣.

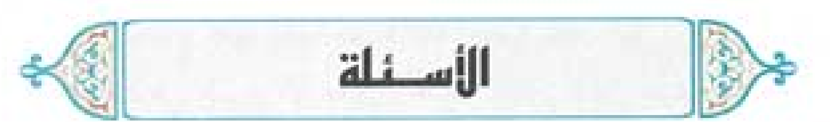
حجة أصحاب هذا التقسيم والرد عليهم:

وليس لهؤلاء حجة على أن هناك بدعة حسنة إلا قول عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح: (نعمت البدعة هذه). وقالوا أيضاً: إنها أُحْدِثَتْ أشياء لم يستنكرها السلف مثل جمع القرآن في كتاب واحد، وكتابة الحديث وتدوينه.

والجواب عن ذلك أن هذه الأمور لها أصل في الشرع فليست محدثة، وقول عمر: (نعمت البدعة)، يريد البدعة اللغوية لا الشرعية، فما كان له أصل في الشرع يرجع إليه إذا قيل إنه بدعة فهو بدعة لغة لا شرعاً.

وجمع القرآن في كتاب واحد له أصل في الشرع لأن النبي ﷺ كان يأمر بكتابة القرآن، لكن كان مكتوباً متفرقاً فجمعه الصحابة رضي الله عنهم في مصحف واحد، حفظاً له، والتراويح قد صلاها النبي ﷺ بأصحابه وتخلف عنهم في الأخير خشية أن تفرض عليهم واستمر الصحابة رضي الله عنهم يصلونها أوزاعًا متفرقين في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته إلى أن جمعهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه على إمام واحد كما كانوا خلف النبي ﷺ وليس هذا بدعة في الدين.

وكتابة الحديث أيضاً لها أصل في الشرع فقد أمر النبي ﷺ بكتابة بعض الأحاديث لبعض أصحابه لما طلب منه ذلك، وكان المحذور من كتابته بصفة عامة في عهده ﷺ خشية أن يختلط بالقرآن ما ليس منه، فلما توفي ﷺ انتفى هذا المحظور، لأن القرآن قد تكامل وضبط قبل وفاته ﷺ، فدون المسلمون الحديث بعد ذلك حفظاً له من الضياع، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً حيث حفظوا كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ من الضياع وعبث العابثين.



الأسئلة

س١: عرف البدعة لغة وشرعاً.

س٢ ما حكم البدع في العادات والعبادات مع الاستدلال؟

س٣: اذكر أنواع البدع في الدين.

س٤: ما حكم البدعة في الدين مستدلاً في ذلك؟

س٥: كيف ترد على من قسم البدعة إلى حسنة وسيئة؟



ظهور البدع في حياة المسلمين وتحته مسألتان:

المسألة الأولى-وقت ظهور البدع:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: واعلم أن عامة البدع المتعلقة بالعلوم والعبادات إنما وقع في الأمة في أواخر الخلفاء الراشدين كما أخبر به النبي ﷺ حيث قال: (**من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين**)[١]. وقد أنكر الصحابة على أهل هذه البدع[٢].

المسألة الثانية-مكان ظهور البدع:

تختلف البلدان الإسلامية في ظهور البدع فيها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن الأمصار الكبار التي سكنها أصحاب رسول الله ﷺ وخرج منها العلم والإيمان خمسة: الحَرَمان-مكة والمدينة-، والعِرَاقان-الكوفة والبصرة-، والشام، منها خرج القرآن والحديث والفقه والعبادة وما يتبع ذلك من أمور الإسلام، وخرج من هذه الأمصار أصول البدع غير المدينة النبوية، وكان ظهور البدع بحسب البعد عن الدارالنبوية، وأما المدينة النبوية فكانت سليمة من ظهور هذه البدع وإن كان بها من هو مضمر لذلك فكان عندهم مهاناً مذموماً.

فأما العصور الثلاثة المفضلة فلم يكن فيها بالمدينة النبوية بدعة ظاهرة البتة ولا خرج منها بدعة في أصول الدين البتة كما خرج من سائر الأمصار، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أن الدجال لا يدخلها[٣] ولم يزل العِلم والإيمان ظاهراً إلى زمن أصحاب مالك وهم من أهل القرن الرابع[٤].

---

(١) تقدم تخريجه في حكم البدعة ص ٩٥ .

(٢) مجموع الفتاوي (١٠/ ٣٥٤).

(٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (المدينة يأتيها الدجّال فيجد الملائكة يحرسونها فلا يقربها الدجال قال ولا الطاعون إن شاء الله) البخاري، كتاب الفتن، باب لا يدخل الدجال المدينة ج٨ ص١٠٣ وفي مواطن أخرى كثيرة وانظر مسلم، كتاب الحج، باب صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال حديث ١٣٧٩ .

(٤) مجموع الفتاوي (٢٠/ ٣٠٠-٣٠٣)، بتصرف ويتضح بمراجعته للاستزادة منه.

الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع:

مما لا شك فيه أن الاعتصام بالكتاب والسنة فيه منجاة من الوقوع في البدع والضلال، قال تعالى:

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾[1].

وقد وضح ذلك النبي ﷺ فيما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: (خَطَّ لنا رسول الله ﷺ خطًا ثم قال: هذا سبيل الله ثم خَطَّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال: وهذه سُبُلٌ -قال يزيد: متفرقة- على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ:

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾[2].

فمن أعرض عن الكتاب والسنة تنازعته الطرق المضللة والبدع المحدثة.



وتتلخص الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع في الأمور التالية:

(أ) الجهل بأحكام الدين:

كلما امتد الزمن وبعد الناس عن آثار الرسالة قَلَّ العلم وفشا الجهل، كما أخبر بذلك النبي ﷺ بقوله: **(من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً)**[3]، وقوله: **(إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبْقِ عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بغير علم فَضَلُّوا وأَضَلُّوا)**[4] فلا يقاوم البدع إلا العلم والعلماء، فإذا فقد العلم والعلماء أتيحت الفرصة للبدع أن تظهر وتنتشر ولأهلها أن ينشطوا.

---

(١) الآية (١٥٣) من سورة الأنعام.

(٢) رواه أحمد ج١ ص ٤٣٥/ ٤٦٥ وابن حبان والحاكم.

(٣) سبق تخريجه ص ٩٥ .

(٤) رواه البخاري «كتاب العلم» باب كيف يقبض العلم ج١ ص ٣٣ ومسلم كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان حديث ٢٦٧٣ ص٢٠٨٥ .

(ب) اتباع الهوى:

من أعرض عن الكتاب والسنة اتبع هواه كما قال تعالى:

﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ﴾[2].

والبدع إنما هي نسيج الهوى المتبع.

(جـ) التعصب للآراء والرجال:

يحول التعصب للآراء والرجال بين المرء واتباع الدليل ومعرفة الحق، قال تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾[3].

وهذا هو الشأن في المتعصبين اليوم من بعض أتباع المذاهب الصوفية والقبوريين إذا دعوا إلى اتباع الكتاب والسنة ونبذ ما هم عليه مما يخالفهما احتجوا بمذاهبهم ومشايخهم وآبائهم وأجدادهم.

(د) التشبه بالكفار:

هو من أشد ما يوقع في البدع كما في حديث أبي واقد الليثي ـ رضي الله عنه ـ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حُدَثَاءُ عهد بكفر، وللمشركين سِدْرَةٌ يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى:

﴿ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[4] لتركبن سنن من كان قبلكم»[5].

---

(١) الآية (٥٠) من سورة القصص.

(٢) الآية (٢٣) من سورة الجاثية.

(٣) الآية (١٧٠) من سورة البقرة.

(٤) الآية (١٣٨) من سورة الأعراف.

(٥) رواه أحمد ج٥ ص ٢١٨، والترمذي كتاب الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم حديث (٢١٨٠) وقال: حسن صحيح.

ففي هذا الحديث أن التشبه بالكفار هو الذي حمل بني إسرائيل أن يطلبوا هذا الطلب القبيح وهو أن يجعل لهم آلهة يعبدونها، وهو الذي حمل بعض أصحاب محمد أن يسألوه أن يجعل لهم شجرة يتبركون بها من دون الله، وهذا نفس الواقع اليوم فإن غالب الناس من المسلمين قلدوا الكفار في عمل البدع والشركيات كأعياد الموالد وإقامة الأيام والأسابيع لأعمال مخصصة والاحتفال بالمناسبات والذكريات وإقامة التماثيل والنصب التذكارية وإقامة المآتم وبدع الجنائز، والبناء على القبور وغير ذلك.

مفاسد البدع:

لظهور البدع وانتشارها مفاسد كثيرة، ويترتب عليها محاذير عظيمة، منها:

١- أن فيها تكذيبًا لقول الله تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾[١] لأنه إذا جاء ببدعة جديدة يعتبرها دينًا؛ فمقتضاه أن الدين لم يكمل.

٢- أنها تستلزم القدح في الشريعة، وأنها ناقصة، فأكملها هذا المبتدع.

٣ - أنها تستلزم القدح في المسلمين الذين لم يأتوا بها؛ فكل من سبق هذه البدع من الناس دينهم ناقص! وهذا خطير!!

٤ - الانشغال عن السنن لأن الغالب أن من اشتغل ببدعة؛ انشغل عن سنة؛ كما قال بعض السلف: «ما أحدث قوم بدعة، إلا هدموا مثلها من السنة».

٥ - أن هذه البدع توجب تفرق الأمة؛ لأن هؤلاء المبتدعة يعتقدون أنهم هم أصحاب الحق، ومن سواهم على ضلال!! وأهل الحق يقولون: أنتم الذين على ضلال! فتتفرق قلوبهم.

فهذه مفاسد عظيمة، كلها تترتب على البدعة من حيث هي بدعة، مع أنه يتصل بهذه البدعة سفه في العقل وخلل في الدين[٢].

---

(١) الآية (٣) من سورة المائدة.

(٢) انظر شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد بن عثيمين ٢/٣١٦-٣١٧.



موقف الأمة الإسلامية من المبتدعة ومنهج السلف في الرد عليهم

١ - موقف السلف من المبتدعة:

ما زال السلف يردون على المبتدعة وينكرون عليهم بدعهم ويمنعونهم من مزاولتها وإليك نماذج من ذلك:

(أ) عن أم الدرداء ـ رضي الله عنها ـ قالت: دخل عَلَيَّ أبو الدرداء مغضباً فقلت له: مالك، فقال: والله ما أعرف فيهم شيئاً من أمر محمد - ﷺ- إلاَّ أنهم يصلون جميعاً [1].

(ب) عن عمرو بن يحيى قال سمعت أبي يحدث عن أبيه فقال: كُنَّا نجلس على باب عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري، فقال: أخَرَجَ عليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعاً، فقال يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته، ولم أر والحمد لله إلاَّ خيراً، قال: وما هو، قال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قوماً حِلَقاً جلوساً ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى فيقول: كَبِّروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هَلِّلوا مائة فيهلِّلون مائة فيقول: سَبِّحوا مائة، فيسبِّحون مائة، قال: فماذا قلت لهم، فقال: ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك، أو انتظار أمرك، قال: أفلا أمرتهم أن يَعُدُّوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء، ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحِلَق فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون ؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصى نَعُدُّ به التكبير والتهليل

---

(١) رواه البخاري كتاب الأذان باب فضل صلاة الفجر في جماعة ج١ ص١٥٩ .

والتسبيح والتحميد، قال: فعدّوا سيئاتكم، فأنا ضامن من أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم، هؤلاء أصحابه متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملةٍ هي أهدى من ملّة محمد، أو مفتتحوا باب الضلالة، قالوا والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلاّ الخير، قال: وكم من مريدٍ للخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وأيم الله لا أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم، فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج[1].

(ج) جاء رجل إلى الإمام مالك بن أنس فقال: من أين أُحْرِمُ، فقال: من الميقات الذي وقّت رسول الله ﷺ وأحرم منه، فقال الرجل: فإن أحرمت من أبعد منه، فقال مالكٌ: لا أرى ذلك، فقال: ما تكره من ذلك، قال: أكره عليك الفتنة، قال: وأيُّ فتنة في ازدياد الخير، فقال مالك: فإن الله تعالى يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2].

وأي فتنة أعظم من أنك خصصت بفضل لم يختص به رسول الله ﷺ [3].

(د) عن سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ أنه رأى رجلاً يصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين، يكثر فيهما الركوع والسجود، فنهاه، فقال: يا أبا محمد، يعذبني الله على الصلاة، قال: لا ولكن يعذبك على خلاف السنة[4].

هذه نماذج ولا زال العلماء ينكرون على المبتدعة في كل عصر والحمد لله.

٢- منهج السلف في الرَّدِّ على أهل البدع:

منهجهم في ذلك المنهج المقنع المفحم المبني على الكتاب والسنة، حيث يستدلون بالكتاب والسنة على وجوب التمسّك بالسنن والنهي عن البدع والمحدثات إجمالاً ثم يوردون شبه المبتدعة وينقضونها.

---

(١) رواه الدارمي المقدمة باب في كراهية أخذ الرأي حديث ٢٠٤.

(٢) الآية (٦٣) من سورة النور.

(٣) ذكره أبو شامة في كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث نقلاً عن أبي بكر الخلال ص١٤.

(٤) رواه الدارمي ج١ ص ١١٦ والبيهقي في السنن الكبرى ج٢ ص ٤٦٦ بسند صحيح.

المؤلفات في البدع والرد على المبتدعة :

لقد ألف علماء السلف مؤلفات عامة تتضمن الرد على المبتدعة في أصول الإيمان والعقيدة وذلك في الكتب المتعلقة بالعقائد مثل :

(١) كتاب الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ.

(٢) كتاب خلق أفعال العباد للإمام البخاري ـ رحمه الله ـ .

(٣) كتاب الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة للإمام ابن قتيبة ـ رحمه الله ـ.

(٤) كتاب الرد على الجهمية للإمام عثمان بن سعيد الدارمي ـ رحمه الله ـ .

كما ألفوا كتبًا خاصة في الرد على أهل البدع منها :

(١) الاعتصام للإمام الشاطبي ـ رحمه الله ـ .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فقد استغرق الرد على المبتدعة جزءاً كبيراً منه.

(٣) إنكار الحوادث والبدع لابن وضاح ـ رحمه الله ـ .

(٤) الحوادث والبدع للطرطوشي ـ رحمه الله ـ .

(٥) الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة ـ رحمه الله ـ .

كما ألفت كتب معاصرة في موضوع البدع، منها : ـ

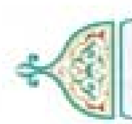
١- كتاب الإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ ـ رحمه الله ـ.

٢- كتاب السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات للشيخ محمد بن أحمد الشقيري الحوامدي رحمه الله .

٣- رسالة التحذير من البدع للشيخ العلامة عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ.

٤- القول المبين في رد بدع المبتدعين للشيخ عبد الله الخليفي ـ رحمه الله ـ.

ولايزال علماء المسلمون - والحمد لله- ينكرون البدع ويردون على المبتدعة من خلال الصحف والمجلات والإذاعات وخطب الجمع والندوات والمحاضرات مما له كبير الأثر في توعية المسلمين والقضاء على البدع وقمع المبتدعين.



الأسئلة



س١ : اذكر الوقت الذي ظهرت فيه البدع.

س٢ : اذكر الأماكن التي ظهرت فيها البدع والمكان الذي لم تظهر فيه وما مرجع ذلك؟

س٣ : اذكر الأسباب التي أدَّت إلى ظهور البدع.

س٤ : بيِّن موقف أهل السنة من المبتدعة واذكر نماذج لذلك.

س٥ : وضح منهج أهل السنة والجماعة في الرد على أهل البدع.

س٦ : اذكر شيئاً من الكتب المؤلفة في الرد على أهل البدع.

وهي:

١- الاحتفال بمناسبة مولد النبي ﷺ.

٢- التبرك بالأماكن والآثار والأموات ونحو ذلك.

٣- البدع في مجال العبادات والتقرب إلى الله.

البدع المعاصرة كثيرة بحكم تأخر الزمن وقلة العلم وكثرة الدعاة إلى البدع والمخالفات وسريان التشبه بالكفار في عاداتهم وطقوسهم مصداقاً لقوله ﷺ: (**لتركبن سنن من كان قبلكم**)[1].



١- الاحتفال بمناسبة مولد النبي ﷺ:

أ- إن من الواجب على كل مسلم محبة النبي ﷺ، إذ هي من أصول الدين الذي لا يتم الإيمان إلا به وعلى ذلك انعقد إجماع المسلمين، وكيف لا تجب محبته ﷺ وهو الذي أحبه الله تعالى واصطفاه وطهره وعصمه، وفضله على جميع ولد آدم، وأعطاه ما لم يعط أحداً من الأنبياء قبله. وهو الذي كمل الله به الرسالة، وهدى به من الضلالة، وألَّف به بعد الفُرْقة، وأغنى به بعد العَيْلة؛ فأصبح الناس بنعمة الله عز وجل إخواناً قال الله عز وجل ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[2]. ولا يحصل كمال الإيمان حتى يحب المسلم نبيه ﷺ أكثر من حبه لنفسه كما في الحديث: **قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لا يُؤمِن أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِه ووالده وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»**[3]. وحديث: **كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ ابْنِ الخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إلا من نفسي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:**

(١) تقدم تخريجه ص ٩٩.
(٢) آية (١٦٣) من سورة آل عمران.
(٣) رواه مسلم وتقدم تخريجه ص ٦٥.

لا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أكونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفسِكَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ فَإِنَّهُ الآنَ واللهِ لأنتَ أَحَبُّ إليَّ مَنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: الآنَ يا عُمَرُ»[1].

وعلامة صدق محبته ﷺ تكون في اتباعه والتمسك بسنته، والتخلق بأخلاقه، كما بيَّن الله ذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2]. وقد سبق الكلام مطولاً ومفصلاً في بيان محبته ﷺ وتعظيمه وبيان منزلة ووجوب طاعته والاقتداء به وتعظيم سنته واتباعها وفضل الصلاة والسلام عليه في الباب الثالث من هذا الكتاب.

ب- إن مما يؤسف له أن بعض المسلمين اليوم إما مقصر في حقوق المصطفى ﷺ فتراه ضعيف الاتباع لسنته قليل الصلاة والسلام عليه، أو واقع في الإطراء والغلو الذي لا يرضاه النبي ﷺ لما فيه مِن وَصْفِهِ ﷺ بما لا يكون إلا لله عز وجل أو الابتداع لأجل محبته مالم يشرعه الله ولا رسوله، وقد قال ﷺ: «من عملَ عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[3]. ومن ذلك: الاحتفال بمناسبة مولده ﷺ، فهو حرام؛ لأنه من البدع المحدثة، ولم يقل به أحد من الأئمة المعتبرين أو أهل العلم الراسخين، وهو تشبه بالنصارى في عمل ما يسمى بالاحتفال بمولد المسيح، فيحتفل بعض المسلمين في ربيع الأول من كل سنة بمناسبة مولد الرسول ﷺ، فمنهم من يقيم هذا الاحتفال في المساجد، ومنهم من يقيمه في البيوت أو الأمكنة المعدَّة لذلك، ويحضر جموع كثيرة من دهماء الناس وعوامهم، يعملون ذلك إما محبة للنبي ﷺ وتعظيماً، وإما تشبهاً بالنصارى في ابتداعهم الاحتفال بمولد المسيح عليه السلام، وبعض هذه الاحتفالات علاوة على كونها بدعة وتشبهاً بالنصارى لا تخلو من الشركيات والمنكرات كإنشاد القصائد التي فيها الغلو في حق الرسول ﷺ إلى درجة دعائه من دون الله والاستغاثة به، وقد نهى النبي ﷺ عن الغلو في مدحه فقال: **(لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله)**[4]. وربما يعتقدون أن الرسول ﷺ يحضر احتفالاتهم.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف يمين النبي ﷺ برقم (٦٦٣٢).

(٢) آية (٣١) من سورة آل عمران.

(٣) رواه مسلم وتقدم تخريجه ص ٧١ .

(٤) رواه البخاري وتقدم تخريجه ص ٣٦ .

ومن المنكرات التي تصاحب هذه الاحتفالات الأذكار البدعية والأناشيد الجماعية المنغمة وضرب الطبول، وغير ذلك من عمل الأذكار الصوفية المبتدعة، وقد يكون فيها اختلاط الرجال والنساء مما يسبب الفتنة ويجر إلى الوقوع في الفواحش، وحتى لو خلا هذا الاحتفال من هذه المحاذير واقتصر على الاجتماع وتناول الطعام في إظهار الفرح - كما يقولون- فإنه بدعة محدثة (وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) وأيضاً هو وسيلة إلى أن يتطور ويحصل فيه ما يحصل في الاحتفالات الأخرى من المنكرات.

وقلنا: إنه بدعة، لأنه لا أصل له في الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح والقرون المفضلة، وإنما حدث متأخراً بعد القرن الرابع الهجري، أحدثه العُبيديون الباطنيون المتسمون بالفاطميين - زعموا-.

قال الإمام أبو حفص تاج الدين الفاكهاني رحمه الله: أما بعد، فقد تكرر سؤال جماعة من المباركين عن الاجتماع الذي يعمله بعض الناس في شهر ربيع الأول ويسمونه المولد، هل له أصل في الدين، وقصدوا الجواب عن ذلك مبيناً والإيضاح عنه معيناً، فقلت وبالله التوفيق: لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطالون، وشهوة نفس اغتنى بها الأكالون.[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وكذلك ما يحدثه بعض الناس، إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام، وإما محبة للنبي ﷺ وتعظيماً، والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد لا على البدع من اتخاذ مولد النبي ﷺ عيداً مع اختلاف الناس في مولده، فإن هذا لم يفعله السلف ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منا، فإنهم كانوا أشدَّ محبة للنبي ﷺ وتعظيماً له منا، وهم على الخير أحرص، وإنما محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته باطناً وظاهراً ونشر ما بُعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان، فإن هذه طريقة السابقين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان [2].

---

(١) رسالة المورد في عمل المولد.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦١٥) بتحقيق الدكتور ناصر العقل.



وقد أُلِّف في إنكار هذه البدعة كتب ورسائل قديمة وجديدة[1]، وهو علاوة على كونه بدعة وتشبّهاً فإنه يجرُّ إلى إقامة موالد أخرى كموالد الأولياء والمشايخ والزعماء فيفتح أبواب شر كثيرة.

٢- التبرُّك بالأماكن والآثار والأشخاص أحياءً وأمواتاً:

من البدع المحدثة التبرُّك بالمخلوقين فهي شبكة يصطاد بها المرتزقة أموال السُّذَّج من الناس.

والتبرُّك: طلب البركة وهي ثبوت الخير في الشيء وزيادته، وطلب ثبوت الخير وزيادته إنما يكون ممّن يملك ذلك ويقدر عليه وهو الله سبحانه، فهو الذي ينزل البركة ويثبّتها، أما المخلوق فإنه لا يقدر على منح البركة وإيجادها ولا على إبقائها وتثبيتها.

حكم التبرُّك:

التبرُّك بالأماكن والآثار والأشخاص أحياءً وأمواتاً لا يجوز لأنه إما شرك، إن اعتقد أن ذلك الشيء يمنح البركة أو يجلب العافية ويزيد الرزق أو وسيلة إلى الشرك إن اعتقد أن زيارته وملامسته والتمسح به سبب لحصولها من الله، وأما ما كان الصحابة يفعلونه من التبرُّك بشعر النبي ﷺ وريقه وما انفصل من جسمه ﷺ كما تقدّم[2]، فذلك خاص به ﷺ في حال حياته ووجوده بينهم، بدليل أن الصحابة لم يكونوا يتبركون بحجرته وقبره بعد موته، ولا كانوا يقصدون الأماكن التي صلى فيها أو جلس فيها ليتبرّكوا بها، وكذلك مقامات الأولياء من باب أولى، ولم يكونوا يتبركون بالأشخاص الصالحين كأبي بكر وعمر - رضي الله عنهما- وغيرهما من أفاضل الصحابة لا في الحياة ولا بعد الموت، ولم يكونوا يذهبون إلى غار حراء لِيُصلُّوا فيه أو يدعوا، ولم يكونوا يذهبون إلى الطور الذي كلَّم الله عليه موسى

---

(١) مثل: ١- التحذير من البدع للشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله.
٢- الاحتفال بالمولد بين الاتباع والابتداع لمحمد بن سعد بن شقير.
٣- المورد في عمل المولد لتاج الدين الفاكهاني رحمه الله.
٤- حكم الاحتفال بالمولد النبوي والرد على من أجازه للشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله.

(٢) في موضوع مقتضيات محبته ﷺ.

ليصلوا فيه ويدعوا، أو إلى غير هذه الأمكنة من الجبال التي يُقال فيها مقامات الأنبياء أو غيرهم، ولا إلى مشهد مبني على أثر نبي من الأنبياء، وأيضاً فإن المكان الذي كان النبي ﷺ يصلي فيه بالمدينة النبوية دائماً لم يكن أحد من السلف يستلمه ولا يقبله، ولا الموضع الذي صلى فيه بمكة وغيرها، فإذا كان الموضع الذي كان يطؤه بقدميه الكريمتين ويصلي عليه لم يشرع لأمته التمسح به ولا تقبيله فكيف بما يُقال أن غيره صلى فيه أو نام عليه، فتقبيل شيء من ذلك والتمسح به قد عُلِمَ بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا ليس من شريعته ﷺ[1].

٣- البدع في مجال العبادات والتقرّب إلى الله:

البدع التي أُحدِثَت في مجال العبادات في هذا الزمان كثيرة، والأصل في العبادات التوقيف فلا يشرع منها إلاّ بدليل، وما لم يدلّ عليه دليل فهو بدعة؛ لقوله ﷺ: **(من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)**[2].

والعبادات التي تمارَس الآن ولا دليل عليها كثيرة جداً، منها:

الجهر بالنية للصلاة: بأن يقول نويت أن أصلي لله كذا وكذا، وهذه بدعة لأنه ليس من سنة النبي ﷺ، ولأن الله تعالى يقول:

﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[3].

والنية محلها القلب، فهي عمل قلبي لا عمل لساني.

ومنها طلب قراءة الفاتحة في المناسبات وبعد الدعاء وللأموات.

ومنها إقامة المآتم على الأموات وصناعة الأطعمة واستئجار المقرئين يزعمون أن ذلك من باب العزاء أو أن ذلك ينفع الميت، وكل هذه بدع لا أصل لها وما أنزل الله بها من سلطان.

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٩٤-٨٠٢) تحقيق الدكتور ناصر العقل.

(٢) رواه مسلم وتقدم تخريجه ص ٧١ .

(٣) الآية (١٦) من سورة الحجرات.

ومنها الاحتفال بالمناسبات الدينية كمناسبة الإسراء والمعراج، ومناسبة الهجرة النبوية، والاحتفال بتلك المناسبات لا أصل له من الشرع.

ومن ذلك ما يُفعَل في شهر رجب كالعمرة الرجبية وما يُفعل من العبادات الخاصة فيه كالتطوع بالصلاة والصيام فيه خاصة، فإنه لا ميزة له على غيره من الشهور لا في العمرة ولا الصيام ولا الذبح للنُسُك فيه ولا غير ذلك.

ومن ذلك الأذكار الصوفية بأنواعها، كلها بدع ومحدثات؛ لأنها مخالفة للأذكار المشروعة في صيغها، وهيئاتها وأوقاتها.

ومن ذلك تخصيص ليلة النصف من شعبان بقيام، ويوم النصف من شعبان بصيام، فإنه لم يثبُت عن النبي ﷺ شيء خاص به.

ومن ذلك البناء على القبور واتخاذها مساجد وزيارتها لأجل التبرك بها والتوسل بالموتى وغير ذلك من الأغراض الشركية.

وزيارة النساء لها مع أن الرسول ﷺ لعن زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج [1].

خطر البدعة:

البدع زيادة في الدين لم يشرعها الله ولا رسوله، والبدعة شر من المعصية الكبيرة، لأن العاصي يفعل المعصية وهو يعلم أنها معصية فيتوب منها، والمبتدع يفعل البدعة يعتقدها ديناً يتقرب به إلى الله فلا يتوب منها، والبدع تقضي على السنن وتُكرِّه إلى أصحابها فعل السنن وأهل السنة.

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لعن زوارات القبور رواه الترمذي في كتاب الجنائز باب ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء حديث ١٠٥٦، وابن ماجه كتاب ما جاء في الجنائز باب ما جاء في اتباع النساء الجنائز حديث ١٥٧٦.

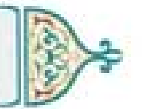
ما يعامل به المبتدعة:

معاملة المبتدع تحكمه قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وينظر فيه إلى تحقيق المصلحة ودفع المفسدة قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

هجران أهل البدع، وترك عيادتهم، وتشييع جنائزهم، من باب العقوبات الشرعية، وهو يختلف باختلاف الأحوال من: قلة البدعة وكثرتها، وظهور السنة وخفائها: وأن المشروع هو: التأليف تارة، والهجران أخرى، كما كان ﷺ يفعله؛ لأن المقصود دعوة الخلق بأقرب طريق إلى طاعة الله، فيستعمل الرغبة حيث تكون والرهبة حيث تكون أصلح[1].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «تنقسم البدع إلى قسمين: بدع مكفرة وبدع دون ذلك، وفي كلا القسمين يجب علينا أن ندعو هؤلاء الذين ينتسبون إلى الإسلام ومعهم البدع المكفرة وما دونها إلى الحق، فإذا وجد العناد والاستكبار فإننا نبين باطلهم.

أما هجرهم فهذا يترتب على البدعة، فإذا كانت البدعة مكفرة وجب هجره، وإذا كانت دون ذلك فإننا نتوقف في هجره؛ إذا كان في هجره مصلحة فعلناه، وإن لم يكن فيه مصلحة اجتنبناه، وذلك أن الأصل في المؤمن تحريم هجره؛ لقول النبي ﷺ: **«لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»**. فكل مؤمن وإن كان فاسقاً فإنه يحرم هجره ما لم يكن في الهجر مصلحة، فإذا كان في الهجر مصلحة هجرناه، لأن الهجر حينئذ دواء»[2].



الأسئلة



س١: بيِّن حكم الاحتفال بمناسبة مولد النبي ﷺ مع الاستدلال لذلك.

س٢: ما معنى التبرك؟ وما حكم التبرك بالأماكن والآثار والأشخاص مستدلاً لذلك؟

س٣: ما حكم التبرك بما انفصل من جسم النبي ﷺ، وما دليل ذلك؟

س٤: ما حكم التبرك بالصالحين، وما دليل ذلك؟

س٥: ما حكم التبرك بالحجرة النبوية وغيرها من الأمكنة والآثار مستدلاً لما تقول؟

س٦: اذكر نماذج من البدع المحدثة في مجال العبادات.

س٧: اذكر شيئاً من أضرار البدع.

س٨: بيِّن ما يجب أن يعامل به المبتدع.

---

(١) منهاج السنة النبوية ١/ ٦٤-٦٥ باختصار.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢/ ٢٩٣-٢٩٤)، رقم الفتوى: ٣٤٧.